العندية في القرآن الكريم

إعداد

الدكتورة/ شيرين السيد مصطفى الشحات

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر

من ١٩٣ إلى ٢٨٤

Al-Andiyah in the Holy Qur’an

Dr. Sherine El-Sayed Mostafa El-Shahat

Instructor at the Department of Interpretation and Sciences of the Qur’an Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Mansoura.

العندية في القرآن الكريم

شيرين السيد مصطفى الشحات
قسم التفسير وعلوم القرآن-كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة- جامعة الأزهر.
البريد الإلكتروني:shreenelshahat372.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث
إن المتأمل في آيات الذكر الحكيم يلمس في وضوح، ويدرك في جلاء، أن هذا الكتاب القيم قد تنوعت فيه أساليب الهداية الإلهية ،ومن أساليب هذه الهداية القيمة ،إخبار الناس بما عند الله للأبرار الأخيار ،وما عنده سبحانه للكفار والفجار ،ولقد تأملت في هذه الآيات الكريمة فأدهشني هذا الوحي القرآني بأسلوبه الفريد المعجز والمبهر ، ترغيباً وترهيباً ، فعقدت العزم على أن أذكر نفسي ،والناس من حولي بهذه المعاني المتدفقة ،وذلك من خلال هذا البحث العلمي الموضوعي، وقضت طبيعة بحثي هذا أن يأتي على الوجه الآتي: مقدمة وتمهيد و ثمانية مباحث وخاتمة
أما المقدمة فقد تناولت فيها نبذة يسيرة عن العندية في القرآن الكريم وأهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث، ومنهجي فيه. وأما التمهيد فقد تناولت فيه نبذة يسيرة عن العندية في القرآن الكريم ومدخلاً للموضوع وحدوده وأسباب ذلك.
المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث. ويشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول:ماهية لفظ عند. المطلب الثاني: ماهية لفظ لدن. المطلب الثالث:الفرق بين لدن وعند.
المبحث الثاني:نعم أنعم الله بها على عباده .ويشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: نعم لسيدنا محمد وأمته. المطلب الثاني:نعم لسائر الأنبياء(نوح وسليمان- عليهما السلام-). المطلب الثالث:نعم لسائر الخلق (نعم لامرأة عمرآن -نعم للعبد الصالح)
المبحث الثالث:العندية في دعاء الصالحين .ويشتمل على مطلبين: المطلب الأول: العندية في دعاء الأنبياء (محمد-زكريا -عليهما السلام-)المطلب الثاني: العندية في دعاء الصالحين.(دعاء الراسخين في العلم - دعاء المستضعفين من المسلمين -دعاء أصحاب الكهف - دعاء امرأة فرعون)
المبحث الرابع : ما عند الله للصالحين من عباده ويشتمل على ثلاثة مطالب .المطلب الأول :ماعند الله للشهداء المطلب الثاني :ما عند الله للمنفقين في سبيله.المطلب الثالث:ماعند الله لأهل الإيمان والتقوى.
المبحث الخامس :العندية في مجالي التبشير والإنذار ويشتمل على مطلبين:المطلب الأول :العندية في مجال التبشير. المطلب الثاني :العندية في مجال الإنذار.المبحث السادس :العندية في مجال التوجيه والإرشاد.ويشتمل على مطلبين :المطلب الأول :العندية في مجال العقيدة . المطلب الثاني :العندية في مجال التشريع.
المبحث السابع :ما خص الله تعالى به نفسه ويشتمل على مطلبين:المطلب الأول :أمور غيبية لا يعلمها إلا الله.(الملائكة -علم الساعة -مفاتيح الغيب)المطلب الثاني :أمور كونية لا يعلمها إلا الله.
المبحث الثامن :ماعند الله تعالى لأهل الكفر والضلال ويشتمل على مطلبين :المطلب الأول:ماعند الله تعالى لأهل الكفر والضلال في الدنيا.المطلب الثاني :ما عند الله تعالى لأهل الكفر والضلال في الآخرة.
ثم ختمت البحث بخاتمة موجزة، فيها خلاصة فكرته، وإجمال مفصله، وقفيت ذلك بثبت المراجع.
الكلمات المفتاحية: العندية - القرآن- الكريم- علوم - التفسير.

Al-Andiyah in the Holy Qur'an

Sherine El-Sayed Mostafa El-Shahat
Department of Interpretation and Sciences of the Qur'an- Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Mansoura- Al Azhar university-.
Email: shreenelshahat372.el@azhar.edu.eg

Abstract :
Praise be to God and enough and peace be upon His servants whom He has chosen and after: The contemplator on the verses of the wise remembrance touches in clarity, and realizes in clarity, that this valuable book has varied methods of divine guidance, and among the methods of this valuable guidance is telling people what God has for the righteous and good, and what He, Glory be to Him, is for the infidels and the ungodly, and I meditated on these noble verses, and this Qur'anic revelation amazed me with its unique, miraculous and dazzling style, to encourage and intimidate me. It comes as follows: an introduction, a preface, eight chapters, and a conclusion
As for the introduction, it dealt with a brief overview of the stubbornness in the Holy Qur'an, the importance of the topic, the reasons for choosing it, the research plan, and the methodology in it. As for the preface, I dealt with it a brief overview of the stubbornness in the Noble Qur'an and an introduction to the subject, its limits, and the reasons for that. The first topic: Defining the search terms. It includes three demands: The first requirement: What is the word for when. The second requirement: the nature of the word laden. The third requirement: the difference between a person and a person.
The second topic: Yes, God has bestowed it on His servants. It includes three demands:
The first requirement: Yes to our master Muhammad and his nation. The second requirement: Yes to all the prophets (Noah and Solomon - peace be upon them -).
The third requirement: Yes to the rest of creation (yes to the woman of Imran - yes to the righteous servant).
The third topic: Al-Adiya in the supplication of the righteous. It includes two demands:
The first requirement: stubbornness in the supplication of the prophets (Muhammad - Zakaria - peace be upon them -)
The second requirement: the stubbornness in the prayer of the righteous
The fourth topic: What God has for the righteous among His servants, and it includes three demands.
The first requirement: What God has for the martyrs The second requirement: What God has for those who spend in His cause.
The third requirement: What God has for the people of faith and piety.
The fifth topic: Al-Adiya in the fields of evangelism and warning, and includes two demands:
The first requirement: stubbornness in the field of evangelism. The second requirement: stubbornness in the field of warning.
The sixth topic: the discipline in the field of guidance and counseling. It includes two requirements:
The first requirement: stubbornness in the field of belief. The second requirement: stubbornness in the field of legislation.
The seventh topic: What God, the Most High, singled out Himself, and it includes two demands:
The first requirement: Unseen matters that only God knows. (Angels - Knowledge of the Hour - Keys of the Unseen)
The second requirement: universal matters that only God knows.
The eighth topic: What God Almighty has for the people of disbelief and misguidance, and it includes two demands:
The first requirement: What God Almighty has for the people of disbelief and misguidance in this world.
The second requirement: What God Almighty has for the people of disbelief and misguidance in the Hereafter.
Then I concluded the research with a brief conclusion, in which there is a summary of his idea, and a summary of its details, and I found that with the proof of references.

Keywords: Al-Adiyah - The Qur'an - The Noble - Sciences - Interpretation.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي سخر لنا ما في السموات وما في الأرض، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم، والرسول العظيم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فإن القرآن الكريم، انزله الله رب العالمين، على قلب سيد المرسلين ليهدي الناس إلى صراط الله المستقيم، ودنيه القويم، وشرعه الحكيم، كما قال ربنا سبحانه: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا " (١)

وهذا الكتاب القيم، هو روح الحياة، ونورها، وفيه عز الأحياء وسعادتهم وذكرهم وشرفهم، إن تمسكوا به وساروا على هديه، واتبعوا شريعته، وفي ذلك يقول منزل هذا الكتاب العظيم:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٢)

ولا شك أن أساليب الهداية الإلهية، قد تنوعت في آي هذا الذكر الحكيم، وتعددت، يدرك ذلك بأدنى تأمل في آي هذا الكتاب الكريم .

ومن أساليب هذه الهداية القيمة، إخبار الناس بما عند الله للأبرار الأخيار، وما عنده سبحانه للكفار والفجار، ولقد تأملت في هذه الآيات

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٩)

(٢) سورة الشورى: الآية (٥٢)

الكريمة فأدهشني هذا الوحي القرآني بأسلوبه الفريد المعجز والمبهر، ترغيباً وترهيباً، ففي الترغيب يرق اللفظ القرآني، وتنساب الآيات القرآنية في تصوير رائع، يأخذ بيد المسلم وعقله وفكره وكأنه يعيش في هذا الجو الطاهر الطهور السعيد المريح الآمن، إلى سعادة غامرة ولطف وحبور، وفي الترهيب تشتد الألفاظ، وترعد الجمل وتبرق، في تصوير يضع المستمع لهذه الآيات في هذا الجو الخائف، الرهيب، تنفيرا للنفوس، حتى تبتعد عما يضعها في هذا المصير المؤلم الرهيب، فعقدت العزم على أن أذكر نفسي، والناس من حولي بهذه المعاني المتدفقة، وذلك من خلال هذا البحث العلمي الموضوعي سائلة –المولى عز وجل –تمام النعمة وكمال المنة وذلك بدخول جنته التي أعد فيها لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إنه خير مأمول وأكرم مسئول وهو ولي ذلك والقادر عليه بفضله وكرمه وجوده وإحسانه

وقد توقفت كثيراً عند آيات قرآنية عديدة نزلت لتبين للناس ما عند الله للأبرار والأخيار وما عنده للكفار والفجار فأردت أن أكتب بحثاً في هذا الموضوع الذي أراه من أهم موضوعات القرآن الكريم، فجاء هذا البحث بعنوان:

"العندية في القرآن الكريم"

أهمية الموضوع:

أولاً: تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه موضوع قرآني إذ اهتم به القرآن وعالجه في العديد من آياته الكريمة وسوره الشريفة، فلا يهتم القرآن إلا بالعظائم .

ثانياً: يتعلق هذا الموضوع بحياة البشر كافة في الدنيا ويوم يقوم الناس لرب العالمين، فالإنسان بعمله وسلوكه في دار الدنيا يحدد مصيره ويرسم مستقبله

بنفسه .

ثالثاً: غاية هذا الموضوع وثمرته تحقيق العزة والسعادة والأمن والأمان للإنسان في هذه الحياة ويوم القيامة.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعني إلى اختيار البحث في هذا الموضوع جملة من الأسباب منها:

أولاً: مشيئة الله تعالى وإرادته وتوفيقه قال سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1]

ثانياً: تناول هذا الموضوع الحديث عن آيات غير قليلة في كتاب الله المجيد ومن هنا استرعى انتباهي ولفت نظري .

ثالثاً: لم أجد فيما اطلعت عليه –من كتب في هذا الموضوع –كتابة علمية دقيقة، تقوم على التحليل والاستنباط في بحث علمي مستقل.رابعاً: بالتأمل في آيات القرآن الكريم نجد أن لفظ عند ولدن تكرر كثيرا في القرآن الكريم لذا اقتصرت عليهما بحثي للأسباب الآتية:

أ- لأنهما أكثر الألفاظ دلالة على معنى العندية .

ب- ورودهما كثيرا في آيات الذكر الحكيم في السور المكية والمدنية .

ت – لأن هذين اللفظين وردا كثيرا فيما يتعلق بما عند الله تعالى.

خامساً: هذه دعوة صريحة، وصحيحة مدوية للإنسان أن يسعى ليصنع لنفسه مستقبلاً سعيداً مريحاً عند ربه قبل أن يغادر هذه الحياة الفانية فما عند الله خير وأبقى.

---

(١) سورة الإنسان: الآية (٣٠)

خطة البحث:

سأقوم بعون الله وتوفيقه وتيسيره في بحثي هذا على النحو الآتي:

أولاً: أعرض الآيات التي تناولت العندية في القرآن الكريم

ثانياً: أذكر آراء علماء التفسير في الآية.

ثالثاً: أقوم بتخريج الحديث النبوي والحكم عليه.

رابعاً: أترجم للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث من الكتب المتخصصة .

خامساً: أذكر المصادر والمراجع العلمية التي رجعت إليها في الهامش، مع ذكر اسم المؤلف والطبعة وتاريخ الطباعة في الهامش عند ذكرها لأول مرة .

سادساً: أقوم بعزو الآيات القرآنية بكتابة اسم السورة ورقم الآية مع الإلتزام بكتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني .

سابعاً: الخاتمة وبينت فيها نتائج البحث والدراسة والتوصيات التي خرجت بها منه ثم ذكرت ثبت المصادر وفهرس الموضوعات .

وقضت طبيعة بحثي هذا أن يأتي على الوجه الآتي: مقدمة وتمهيد و ثمانية مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فقد تناولت فيها نبذة يسيرة عن العندية في القرآن الكريم وأهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث، ومنهجي فيه.

وأما التمهيد فقد تناولت فيه نبذة يسيرة عن العندية في القرآن الكريم. مدخلاً للموضوع وحدوده وأسباب ذلك

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث. ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ماهية لفظ عند. المطلب الثاني: ماهية لفظ لدن .

المطلب الثالث: الفرق بين لدن وعند.

المبحث الثاني: نعم أنعم الله بها على عباده . ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نعم لسيدنا محمد وأمته

المطلب الثاني: نعم لسائر الأنبياء(نوح وسليمان- عليهما السلام-).

المطلب الثالث: نعم لسائر الخلق (نعم لامرأة عمرآن -نعم للعبد الصالح)

المبحث الثالث: العندية في دعاء الصالحين .ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول. العندية في دعاء الأنبياء (محمد-زكريا -عليهما السلام-)

المطلب الثاني: العندية في دعاء الصالحين.(دعاء الراسخين في العلم - دعاء المستضعفين من المسلمين -دعاء أصحاب الكهف - دعاء امرأة فرعون)

المبحث الرابع: ما عند الله للصالحين من عباده ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: ماعند الله للشهداء

المطلب الثاني: ما عند الله للمنفقين في سبيله.

المطلب الثالث: ماعند الله لأهل الإيمان والتقوى.

المبحث الخامس: العندية في مجالي التبشير والإنذار .

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: العندية في مجال التبشير

المطلب الثاني: العندية في مجال الإنذار.

المبحث السادس: العندية في مجال التوجيه والإرشاد.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العندية في مجال العقيدة .

المطلب الثاني: العندية في مجال التشريع.

المطلب الثالث: العندية في مجال الأخلاق

المبحث السابع: ما ختص الله تعالى به نفسه ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أمور غيبية لا يعلمها إلا الله.(الملائكة -علم الساعة -مفاتيح

الغيب)

المطلب الثاني: أمور كونية لا يعلمها إلا الله.

المبحث الثامن: ماعند الله تعالى لأهل الكفر والضلال .

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ماعند الله تعالى لأهل الكفر والضلال في الدنيا.

المطلب الثاني: ما عند الله تعالى لأهل الكفر والضلال في الآخرة.

ثم ختمت البحث بخاتمة موجزة، فيها خلاصة فكرتــه، وإجمــال مفصــله، وقفيت ذلك بثبت المراجع، فما كان من صواب فالفضل والمنة لله تعالى، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله أسأل أن يثبت الحق في قلبي وأن يجريه على قلمي، وأن ينفعني بما أكتب، وأن يجعله خالصــاً لوجهــه الكريم. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلــى آلــه وصــحبه أجمعين.

الراجية عفو ربها

شيرين السيد مصطفى الشحات

التمهيد:

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات البحث

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

ماهية لفظ عند

عِندَ في اللغة:

بكسر العين وهي اللغة الفصحى وتكلم بها أهل الفصاحة العين والنون والدال أصلٌ صحيح واحدٌ يدلُّ على مجاوزةٍ وتركِ طريق الاستقامة. يقال: عَنَد الرّجل، وهو عانِدٌ، يَعْنُد عُنوداً، إذا عَتا وطَغى وجاوَزَ قَدْرَه. ومنه المعانَدة، وهي أن يعرف الرّجُل الشيءَ، ويأبى أن يقبله. يقال: عَنَدَ فلانٌ عن الأمر، إذا حادَ عنه. والعَنُود من الإبل: الذي لا يخالط الإبل، إنما هو في ناحية و يقال: رجلٌ عنودٌ، إذا كان وحدَه لا يُخالِط الناس. [١]

وتأتي على عدة معان منها:

١- ظرف مكان: أي اسم لمكان الحضور تقول: (كُنْتُ عِنْدَ زَيْدٍ)

٢- ظرف لزمان الحضور: كقولك: وصل عند مغيب الشمس، وكان هذا عند انتصاف النّهار[٢]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ١٥٣

(٢) اللمحة في شرح الملحة، لمحمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر ألجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (المتوفى: ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم ألصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م(ص: ٠)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت (٢/ ٤٣١)

٣- عند بمعنى لدى: قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (١)

٤- تأتي بمعنى الظن والحكم: كقولك: هذا عندي أفضل من هذا أي في حكمي.

٥- وقد تدخل عليها مِنْ حُرُوفِ الْجَرِّ (مِنْ) لَا غَيْرُ تَقُولُ: جِئْتُ مِنْ عِنْدِهِ.

٦- وتأتي بمعنى الملكية، وتأتي مجازًا: عند الحاجة، وعند الاقتضاء، وتلحق بها مختلف الضمائر، ضمير الملكية فتقول: عندي، ضمير الغائب فتقول: أضاف شيئا من عنده مما لديه، ومن صنعه، ويقال: كان عند حسن الظن به تصرف حسناً، أي كما كان متوقعا منه (٢)

٧- وعند: لفظ موضوع للقرب: فتارة يستعمل في المكان، وتارة في الاعتقاد، نحو أن يقال: عِنْدِي كذا، وتارة في الزّلفى والمنزلة، وعلى ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَل أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ

---

(١) سورة النحل: الآية (٩٦)

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٣١)، المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (٢/ ١٧٠)

يُرۡزَقُون ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴾[٣]وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤]وعلى هذا النّحو قيل: الملائكة المقرّبون عِنْدَ الله، قال تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٦٩)
(٢) سورة الأعراف: الآية (٢٠٦)
(٣) سورة فصلت: الآية (٣٨)
(٤) سورة التحريم: الآية (١١)
(٥) سورة الشورى: الآية(٣٦)
(٦) سورة الزخرف: الآية (٨٥)

شَهِيدًۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[١] أي: في حكمه، وقوله تعالى: ﴿ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [٤]فمعناه في حكمه [٥]

قال الإمام الزركشي: (عند ظرف مكان بمعنى لدن إلا أن عند معربة وكان القياس بناءها لافتقارها إلى ما تضاف إليه كـ "لدن" وإذ ولكن أعربوا عند لأنهم توسعوا فيها فأوقعوها على ما هو ملك الشخص حضره أو غاب عنه بخلاف لدن فإنه لا يقال لدن فلان إلا إذا كان بحضرة القائل فـ "عند" بهذا الاعتبار أعم من لدن ويستأنس له بقوله: ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ

(١) سورة الرعد: الآية (٤٣)
(٢) سورة النور: الآية(١٣)
(٣) سورة النور: الآية (١٥)
(٤) سورة الأنفال: الآية (٣٣)
(٥)المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ (ص: ٥٩٠)

ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [١] أي من العلم الخاص بنا وهو علم الغيب. وقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [٢]، الظاهر أنها بمعنى عندك وكأنها أعم من لدن لما ذكرنا فهي أعم من بين يدي لاختصاص هذه بجهة أمام فإن من حقيقتها الكون من جهتي مسامتة البدن، وتفيد معنى القرب

وقد تجيء بمعنى وراءَ وأمام: إذا تضمنت معنى قبل كـ "بين يدي الساعة" وإذا ثبت أن عند ولدى للقرب فتارة يكون حقيقياً كقوله: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾[٣] ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤]

وتارة مجازا إما قرب المنزلة و الزلفى، كقوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [٥]وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ

---

(١) سورة الكهف: الآية (٦٥)
(٢) سورة آل عمران: الآية (٨)
(٣) سورة النجم: الآيات (١٣ -١٦)
(٤) سورة يوسف: الآية (٢٥)
(٥) سورة آل عمران: الآية (١٦٩)

ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ [١] وعلى هذا قيل الملائكة المقربون.

أو قرب التشريف كقوله تعالى: "وضرب الله مثلا للذين آمنوا إمرأة فرعون ..." [٢] وقوله ﷺ: "اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي كل ذلك عندي"[٣] أي في دائرتي إشارة لأحوال أمته وإلا فقد ثبتت له العصمة

وتارة بمعنى الفضل، ومنه: " فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ" [٤] أي من فضلك وإحسانك

وتارة يراد به الحكم كقوله تعالى: ﴿فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[٦]أي في حكمه تعالى، وقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾[٧] أي في حكمك وقيل بحذف عند في الكلام وهي مراده للإيجاز كقوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[٨]وقوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾[١] وقوله تعالى ﴿ يَا

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٠٦)

(٢) سورة التحريم: الآية (١١)

(٣)الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩، باب: دَعَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢٣٩/١ ح ٦٨٨) وقال الشيخ الألباني: صحيح

(٤) سورة القصص: جزء من الآية (٢٧)

(٥) سورة النور: الآية (١٣)

(٦) سورة النور: جزء من الآية (١٥)

(٧) سورة الأنفال: جزء من الآية (٣٢)

(٨) سورة البقرة: الآية(١٤٧)

أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [٢]، أي من عند الرحمن، كقوله تعالى ﴿قد جاءكم من الله نور﴾[٣]

وقد تكون عند للحضور نحو قوله تعالى: ﴿فلما رآه مستقرا عنده﴾[٤]

وقد يكون الحضور والقرب معنويين نحو قوله تعالى: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾[٥])[٦]

وبهذا يتضح لنا مما سبق أن كلمة عِندَ لها أكثر من معنى في لغة العرب فهي تعني الحضور وزمانه، والحكم، والقرب حقيقة أو مجازاً، وبمعنى لدى، وبمعنى الملكية وغيرها، وعند إضافتها إلى الله تعالى فلها معان عظيمة تليق بالذات العلية .

<u>عند في القرآن الكريم:</u>

جاءت (عند) في القرآن في ١٩٦ موضع، وكانت مضافة في جميع مواقعها مضافة للاسم الظاهر وللضمير، وكانت منصوبة على الظرفية، وجرت بمن في ٣٤ موضعًا[٧]

---

(١) سورة البينة: الآية(٢)

(٢) سورة مريم: الآية (٤٥)

(٣) سورة المائدة: الآية (١٥)

(٤) سورة النمل: الآية (٤٠)

(٥) سورة النمل: الآية (٤٠)

(٦)البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه(٤/ ٢٩٠-٢٩٢)

(٧) وهي: سورة البقرة الآيات (٧٩-٨٩-١٠١—١٠٣-١٠٩)، وسورة آل عمرآن الآيات (٧-٣٧-٧٨-١٢٦-١٦٥-١٩٥-١٩٨)، وسورة النساء الآيات(٧٨-

المطلب الثاني

ماهية لدن

لدن لغة:

اللام والدال والنون كلمةٌ واحدة. يقال للَّيِّن من القضبان لَدْنٌ. ولَدُنْ بمعنى لَـدَى، أي عِندَ[١]

اللَّدْنُ: اللّيِّنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ عُودٍ أَو حَبْلٍ أَو خُلُق، والأُنثى لَدْنة، وَالْجَمْـعُ لِدانٌ ولُدْن وَقَدْ لَدُنَ لَدانةً ولُدُونةً. ولَدَّنه هُوَ: لَيَّنه. وَقَنَاةٌ لَدْنة: ليِّنة المهَزَّةِ، وَرُمْحٌ لَدْنٌ ورِماحٌ لُدْنٌ، بِالضَّمِّ، وامرأَة لَدْنة: رَيَّا الشّبابِ ناعمةٌ، وكلُّ رَطْبٍ مأْدٍ لَدْنٌ. وتَلدَّنَ فِي الأَمر: تَلبَّثَ وتمكَّثَ، وَفِي الْحَدِيثِ أَن رَجُلًا مِنَ الأَنصـار أَناخَ ناضِحاً فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بعضَ التَّلدُّن، فَقَالَ: شَأْ لعَنـك اللَّـهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: لَا تَصْحبْنا بِمَلْعُونٍ [٢]

---

٨١ -٨٢)، وسورة المادة (٥٢)، وسورة الأنفال الآيات (١٠)، وسـورة التوبـة (٥٢)، وسورة يونس (٧٦)، وسورة هود (٢٨)، وسورة الكهف (٦٥)، وسورة الأنبياء (٨٤)، وسورة النور (٦١)، وسورة القصص(٣٧)، وسورة غـافر (٢٥)، وسورة فصلت (٥٢)، وسورة الـدخان (٥)، وسـورة الاحقـاف (١٠)، وسـورة محمد(١٦)، وسورة القمر (٣٥) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٩/ ٦٨٥-٦٨٩)

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٤٣

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الزهد والرقائق، باب: حديث جابر الطويـل وقصـة أبي اليسر(٤/٢٣٠٤ ح ٣٠٠٩) (الناضح) هو: البعير الذي يستقى عليه. (فتلـدن عليه بعض التلدن) أي تلكأ وتوقف. (شأ لعنك الله) كلمة زجر للبعير يقال شأشـأت بالبعير بالمعجمة والمهملة إذا زجرته وقلت له شأ.ينظر: مختصـر صـحيح مسـلم «للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري»، لعبد العظيم بن عبـد

التَّلدُّن: التَّمكُّثُ، مَعْنَى قَوْلِهِ تَلدَّنَ أَي تَلَكَّأَ وتمكَّثَ وتَلبَّثَ ولَمْ يَثُرْ ولَمْ يَنبَعِث. يُقَالُ: تَلدَّنَ عَلَيْهِ إِذا تَلكَّأَ عَلَيْهِ؛ قَالَ أَبو عَمْرٍو: تَلدَّنْتُ تَلدُّناً وتَلبَّثْتُ تَلبُّثاً وتمكَّثْتُ. (١)

١-[لَدُن]: ظَرْفٌ زَمَانٍ وَمَكَانٍ: غير متمكن بمنزلة عند إلا أنه أقرب مكاناً من عند وأخص منه فإن عند تقع على المكان وغيره تقول: لي عند فلان مال في ذمته. ولا يقال ذلك في لدن ولا يستعمل إلا في الحاضر بخلاف عند يقال: لدي مال. إذا كان حاضرا وإذا اتصل بلدن ياء المتكلم اتصلت بها نون الوقاية يقال لدني بتشديد النون ويقل تجريدها منها فيقال لدني بتخفيفها وعلم لدني: علم رباني يصل لصاحبه عن طريق الإلهام.

قال اللّه تعالى: ﴿مِنْ لَدُنْ حكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (٢)، ويغلب استعماله مجرورًا بمن، وإذا اتّصل لدُن بياء المتكلِّم وصلت بينهما نون الوقاية فيصير لدُنّي، وتكون النون فضلة "أخذت كتابًا من لَدُن عليّ- ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِنْ لَدُنْ حكِيمٍ عَلِيمٍ﴾(٣) - ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾(٤).

٢-اسم بمعنى قِبَل تقول: "هُوجِم من لَدُن بعض الأشرار- ﴿فَهَبْ لِي مِنْ

القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦ هـ) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م(٢/٤٠٨)

(١) لسان العرب (١٣/ ٣٨٣

(٢) سورة هود: جزء من الآية (١)

(٣) سورة النمل: الآية (٦)

(٤) سورة الكهف: جزء من الآية (٧٦)

لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾[١].

ويروى فيها لغات: لَدُنْ بإسكان النون، وهي لغة أهل الحجاز، لـدُن بضم الدال، لَدْنِ، بإسكان الدال وكسر النون، لُدُنْ، بضم اللام والدال وإسكان النون. [٢]

وَلَمْ تُجْعَلْ كعِنْدَ لأَنها لَمْ تَمَكَّنْ فِي الْكَلَامِ تَمكُّنَ عِنْدَ، لأَنك تَقُولُ هَذَا الْقَوْلُ عِنْدِي صوابٌ، وَلَا تَقُولُ هُوَ لَدُنِي صَوَابٌ، وَتَقُولُ عِنْدِي مَالٌ عَظِيمٌ وَالْمَالُ غَائِبٌ عَنْكَ، ولَدُنْ لِمَا يَلِيكَ لَا غَيْرُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً﴾[٣]

تَقُولُ: وَقَفَ الناسُ لَهُ مِنْ لَدُنْ كَذَا إِلى الْمَسْجِدِ وَنَحْوُ ذَلِكَ إِذا اتَّصَلَ مَا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَكَذَلِكَ فِي الزَّمَانِ مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلى غُرُوبِهَا أَي مِنْ حِينِ. لَدُنْ؛ ظَرْفُ مَكَانٍ بِمَعْنَى عِنْدَ إِلا أَنه أَقرب مَكَانًا مِنْ عِنْدَ وأَخصُّ مِنْهُ، فَإِن عِنْدَ تَقَعُ عَلَى الْمَكَانِ وَغَيْرِهِ، تَقُولُ: لِي عِنْدَ فلانٍ مَالٌ أَي فِي ذِمَّتِهِ، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي لَدُنْ. وَقَدْ أَدخلوا عَلَيْهَا مِنْ وَحْدَهَا (مِنْ)حُرُوفِ الْجَرِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مِنْ لَدُنَّا﴾،

---

(١) سورة مريم: جزء من الآية (٥)

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م(٩/ ٦٠٣٣)، معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م(٣/ ٢٠٠٤)، المعجم الوسيط (٢/ ٥٦٠)

(٣) سورة الكهف: جزء من الآية (٧٦)

وَجَاءَتْ مُضَافَةً تَخْفِضُ مَا بَعْدَهَا؛[١]

قال الإمام الزركشي في البرهان:

لدن بمعنى عند وهي أخص منها لدلالته على ابتداء نهاية نحو: أقمت عنده من لدن طلوع الشمس إلى غروبها فتوضح نهاية الفعل وهي أبلغ من عند قال تعالى: ﴿قد بلغت من لدني عذرا﴾[٢]، ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[٣] وقد تحذف نونها قال تعالى: ﴿وألفيا سيدها لدى الباب﴾[٤] [٥]

قال صاحب البصائر: لدن ظرف زمان، وقيل مكاني كعند، وعن علم الغيب أو العلم اللدني يقول: والعِلْم اللدنِّيّ: ما يحصل للعبد بغير واسطة، بل إلهام من الله تعالى؛ كما حصل للخضِر عليه السلام بغير واسطة موسى. قال تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾[٦] إذْ لم يكن نيلهما على يد بشر. وكان من لدنْه أَخصّ وأَقرب ممَّا عنده، ولهذا قال: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً﴾ [٧] فالسلطان

---

(١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى(١٣/ ٣٨٣)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٥٥٢)

(٢) سورة الكهف: جزء من الآية (٧٦)

(٣) سورة الأنبياء: جزء من الآية (١٧)

(٤) سورة يوسف: جزء من الآية (٢٥)

(٥) البرهان في علوم القرآن (٤/ ٢٩٧)

(٦) سورة الكهف: جزء من الآية (٦٥)

(٧) سورة الإسراء: الآية (٨٠)

النصير الذي من لدنه سبحانه أَخصّ من الذي عنده وأَقرب. وهو نَصْره الذي أَيَّده به، والذي عنده نصره بالمؤمنين. (١)

وبعد بيان معنى لدن في اللغة واستعمالاتها يتضح أن لدن في اللغة لها معان عدة منها: اللين من كل شيء، وتأتي بمعنى عند، والتمكث والتلبث، وأن لدن تستعمل في القرب الخاص وأن العطاءات الربانية إذا جاءت من لدن الله تعالى فإنها تكون خاصة كخصوصية لدن، فإنها تعبر عن عجائب القدرة الإلهية الخارقة للقوانين الدنيوية قال تعالى: "رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا" (٢)

المطلب الثالث

الفرق بين لدن وعند

بعد عرض ماهية لدن وعند من ناحية اللغة أستطيع أن استخلص الحقائق الآتية:

١- لدن تستعمل بمعنى عند أي ظرف مكان أو زمان كما قيل عند البعض في الحضور والقرب الحسيين أو المعنويين على سبيل الحقيقة والمجاز، تقول عندي مال سواء كان حاضراً أم غائباً ولكن عندما تقول لدي مال فلابد أن يكون حاضراً، قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ يعني حاضر.

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة١٩٩٦ م(ص: ١٣٦٣)

(٢) سورة الكهف: جزء من الآية (١٠)

٢- عند تستعمل في البعيد عنك، بخلاف لدي فلا تقال إلا في القريب قال تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[١] فلدي تفيد القرب أي أن الأنبياء لا يخافون ماداموا في حضرة الله تعالى ومعيته مع أنهم أشد الناس خوفاً من ربهم.

٣- لدن أخص من عند وأبلغ لوجهين:

الأول: أن عند تصلح في محل ابتداء نهاية، وغيرها، ولدن لا تصلح إلا في ابتداء نهاية.

وقال الراغب: لدن أخص من عند وأبلغ لأنه يدل على ابتداء نهاية الفعل .[٢]

الثاني: أن عند تستعمل في الشيء الذي يملكه الشخص سواء حضر ذلك الشيء أو غاب عنه، ولدن لا تستعمل إلا في الشيء الحاضر، ومن ثم فهي أدل على الاختصاص .

من المعلوم إذا أضيفت عند أو لدن لله سبحانه، فهي بمعنى القرب المجازي، إذ يستحيل أن يراد بها -حينئذ- القرب الحسي الحقيقي، فقد تكون بمعنى: التشريف والتكريم، وقرب المنزلة وغير ذلك كما سيأتي توضيحه فيما بعد إن شاء الله.

٤- أن عند قد تحذف وذلك بقصد الإيجاز في الكلام .

وقد ذكر الإمام السيوطي في الإتقان فروقا لغوية بين عند ولدن منها:

عند تكون فضلة[٣]، نحو قوله تعالى: ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾[١]، ولدن لا

---

(١) سورة النمل: جزء من الآية (١٠)

(٢)المفردات في غريب القرآن(١/٧٣٩)

(٣) المراد فضلة عند أهل اللغة أما في القرآن فليست هناك كلمة ليس لها معنى فهو فضلة

تكون فضلة نحو قوله تعالى: ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾[٢].

تجر لدن بمن أكثر من نصبها حتى أنها لم تجيء في القرآن منصوبة، تجر عند كثير.

وعند ولدن يعربان ولدن مبنية في لغة الأكثرين.

و"لدن" قد تضاف وقد لا تضاف للجملة بخلاف عند. [٣]

قال ابن مالك: "لدن" بمعنى عند؛ إلا أنها تختص بستة أمور

الأول: أنها ملازمة لمبدأ الغايات، فمن ثم يتعاقبان في نحو: "جئت من عنده" و"من لدنه" وفي التنزيل: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، بخلاف نحو: "جلست عنده"؛ فلا يجوز فيه "جلست لدنه" لعدم معنى الابتداء هنا .

الثاني: أن الغالب استعمالها مجرورة بمن.

الثالث: أنها مبنية إلا في لغة قيس؛ وبلغتهم قرئ: {مِنْ لَدُنْهُ}

الرابع: جواز إضافتها إلى الجمل .

الخامس: جواز إفرادها قبل "غدوة" فتنصبها: إما على التمييز؛ أو على التشبيه بالمفعول به؛ أو على إضمار "كان" واسمها، وحكى الكوفيون رفعها على إضمار "كان" تامة؛ والجر القياس والغالب في الاستعمال .

صناعة نحوية لا معنوية.

(١) سورة ق: الآية (٤)

(٢) سورة المؤمنون: جزء من الآية (٦٢)

(٣) الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م(٢/ ٢٤٥)

السادس: أنها لا تقع إلا فضلة؛ تقول "السفر من عند البصرة" ولا تقول "من لدن البصرة.[١]

لدن في القرآن الكريم:

جاءت في القرآن في ثمانية عشر موضعاً وكانت مضافة ومجرورة بمن في جميع مواقعها[٢]

(١)أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لجمال الدين عبد الله الأنصاري ٧٦١ هـ، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (٢٠٧/٢-٢٠٨)، شرح إبن عقيل، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٥، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد(٣/ ٦٩ -٧٠)

(٢) سورة هود: الآية (١)، وسور آل عمران لآية (٨-٣٨)، النساء ٤٠- ٦٧(٧٥)، سورة الاسراء: الآية (٨٠)، الكهف٢، ١٠ -٦٥ -٧٦)، مريم (٥ -١٣)، سورة طه ٩٩، سورة الأنبياء ١٧، القصص ٥٧، سورة النمل الآية (٦)، ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤ هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر الناشر: دار الحديث، القاهرة (٦٣٨/٩)

المبحث الثاني
نعم أنعم الله بها على عبادة

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

إن المتأمل في هذا الكون الفسيح –بل في نفسه– يجد بكل وضوح نعم الله التي لا تحصى تحيط به من كل جانب، فبهذا سمع وبصر وذاك عقل وفكر ونوم ويقظة، وهذه أرض تنبت بخيرات المنعم العظيم جل جلاله، وهذه أنهار، وأشجار ....كل ذلك وغيره من نعم لا مصدر لها إلا الله المنعم الوهاب وصدق الله العظيم " " ومن أعظم هذه النعم ما أنعم الله به على سيدنا محمد وأمته وهذا ما نراه بعون الله في هذا المطلب .

المطلب الأول
نعم لسيدنا محمد وأمته

خلق الله تبارك وتعالى الكون كله بما فيه من عوالم وأنعم على مخلوقاته بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾[١] ففي هذه الآية الكريمة دعوة من الله سبحانه وتعالى أن يتفكروا في نعم الله تعالى و يؤدوا حق شكر الله تعالى على هذه النعم قولاً و فعلاً وحالاً واستشعاراً قال تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾[٢]

ومن أعظم هذه النعم:

١- بعثة النبي محمد ﷺ والقرآن الكريم:

لا شك أن أعظم نعمة أنعم الله بها على عبادة الثقلين (الجن والإنس)أن بعث فيهم عبده ورسوله نبي الله محمداً ﷺ بهذا القرآن العظيم الذي أنزله الله تبارك وتعالى على خاتم المرسلين، ليرشدهم إلى سبيل النجاة والسعادة

---

(١) سورة النحل: الآية (١٨)

(٢) سورة لقمان: جزء من الآية (٢١)

ويحذرهم من سبل الهلاك والشقاوة، ويخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الحق والفرقان قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١)

أخبر الله جل ثناؤه في هذه الآية الكريمة أن اليهود لما جاءهم رسول الله ﷺ من الله بتصديق ما في أيديهم من التوراة، وأنه نبي لله، جحدوه ورفضوه بعد أن كانوا به مقرين، حسدا منهم له وبغيا عليه

قال الإمام أبو السعود عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: (﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ﴾هو النبيِّ ﷺ والتنكير للتفخيم وأفادت العندية هنا في قوله: ﴿مِنْ عِندِ الله﴾: مزيدِ تعظيمِه بتأكيد ما أفاده التنكيرُ من الفخامةِ الذاتيةِ بالفخامة الإضافية، حيث أثبتت نبوته ﷺ وأنه مرسل من عند الله (٢)

ومن أعظم النعم القرآن الكريم هذا الكتاب القيم أحكمت آياته وفصلت لتكون دستوراً للأمة حتى قيام الساعة بحكمة الحكيم العليم

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٠١)

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (١/ ١٣٥) ، جامع البيان في تأويل القرآن

المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)

المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م(٢/٤٠٣)

الْكَافِرِينَ ﴾.

ولما جاء اليهود من بني إسرائيل بـ "الكتاب" القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ، مصدق لما معهم من التوراة والإنجيل ومعنى الاستفتاح: الاستنصار أي يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه، أي من قبل أن يبعث فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه وتنكير كتاب للتعظيم، يدل على أن هذا الكتاب غير ما معهم وما ذاك إلا القرآن ووصفه للتشريف والإيذان بأنه جدير بأن يقبل ما فيه وأفادت العندية هنا إثبات أن القرآن من عند الله وتشريفه بالوصف فما يكون من عند الله جدير بأن يتقبلوه بقبول حسن، وأن يأخذوه بمأخذ الطاعة لأوامره ونواهيه(١)

وقال تعالى: ﴿الر كتب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾(٢)

وصفت الآية الكريمة القرآن الكريم بكونه كتاب أُحْكِمَتْ آياتُهُ أي: نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف، وتنكير كتاب للتعظيم، أي أنه كتاب عظيم لا يطاول ولا يأتي أحد بمثله، مِنْ لَدُنْ أي: من عند حكيم في خلقه، خبير بمن يصدق بنبيه ﷺ وبمن يكذب به(٣)

يقول الإمام ابو السعود في تفسير هذه الآية: "مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" صفةٌ للكتاب وُصف بها بعد ما وصُف بإحكام آياتِه وتفصيلِها الدالّين على علو

---

(١) ينظر "تفسير الطبري (٣٣٢/٢)، تفسير أبو السعود (١٢٨/١)، زهرة التفاسير (١/ ٣٠٩)

(٢) سورة هود: الآية (١)

(٣)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٧٧)، اللباب في علوم الكتاب (٤٢٩/١٠)

رتبتِه من حيث الذاتُ إبانةً لجلالة شأنِه من حيث الإضافةُ [١]

وأفادت لدن هنا في الآية الكريمة: أن اللَّه تعالى أعطى القرآن شرفا إضافيا بعد شرفه الحقيقي في إعجازه وأنه لا يزال يتحدى الخليقة عربا وعجما أن يأتوا بمثله وأنى يكون، فيقول تعالى: (مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) فكلمة (مِن لَّدُنْ) معناها من عند، وقل أن تستعمل في القرآن الكريم في غير جانب اللَّه العليم القادر[٢]

وهو الذكر الحكيم الذي يرفع شأن صاحبه ويعلي قدره قال تعالى: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾[٣]

"كتاباً مشتملاً على هذه الأقاصيص والأخبار حقيقاً بالتفكر والاعتبار، والتنكير فيه للتعظيم. وقيل ذكراً جميلاً وصيتاً عظيماً بين الناس".[٤]" وهو الكتاب العربي صدر من رب العزة بلفظه ومعناه و هذا ما أفادته اللدنية هنا في قوله فأكد الإتيان بأنه {مِن لَّدُنَّا} أي من عندنا، فلم يَقُلْ مثلاً: آتيناك ذِكْراً وهذا له معنى؛ لأن كل الكتب التي نزلت على الرسل السابقين نزلت ورُويتْ بالمعنى، ثم صاغها أصحابها بألفاظ من عند أنفسهم، أمَّا القرآن فهو الكتاب الوحيد الذي نزل بلفظه ومعناه؛ لذلك قال ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ أي: مباشرة من الله لرسوله".[٥]

---

(١)تفسير أبو السعود (٤/ ١٨٣)

(٢) زهرة التفاسير (٧/ ٣٦٦٠

(٣) سورة طه: الآية (٩٩)

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت(٤/ ٣٨)

(٥) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٣٨٠)

وهو كتاب نزل ليصدق خاتم النبيين فيا يبلغ عن ربه سبحانه قال تعالى: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم خبير﴾[١]

يقول الإمام الطاهر ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: (عطف على جملة: تلك آيات القرآن [النمل: ١] انتقال من التنويه بالقرآن إلى التنويه بالذي أنزل عليه بأن القرآن آيات دالة على أنه كتاب مبين. وذلك آية أنه من عند الله، ثم بأنه آية على صدق من أنزل عليه إذ أنبأه بأخبار الأنبياء والأمم الماضين التي ما كان يعلمها هو ولا قومه قبل القرآن. وما كان يعلم خاصة أهل الكتاب إلا قليلا منها أكثره محرف. وأيضا فهذا تمهيد لما يذكر بعده من القصص.) [٢].

وأفادت الدنية هنا الدلالة على كمال العناية بالقرآن الكريم، وتفخيم شأنه في كونه مرسل من عند الله العليم الحكيم على نبيه ومصطفاة محمد ﷺ.

وهذا الكتاب المحفوظ في أم الكتاب زيادة في إعزازه ورفعة شأنه

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٣]

في هذه الآية الكريمة زيادة في الثناء على هذا الكتاب للتنويه بشأنه رفعة وإرشادا

وأم الكتاب: أصل الكتاب. والمراد ب أم الكتاب علم الله لأن الأم بمعنى الأصل والكتاب هنا بمعنى المكتوب، أي المحقق الموثق وهذا كناية عن الحق الذي

---

(١) سورة النمل: الآية (٦)

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ (١٩/ ٢٢٣)

(٣) سورة الزخرف: الآية (٤)

لا يقبل التغيير

وحكيم: أصله الذي الحكمة من صفات رأيه، فهو هنا مجاز لما يحوي الحكمة بما فيه من صلاح أحوال النفوس والقوانين المقيمة لنظام الأمة

ومعنى كون ذلك في علم الله: أن الله علمه كذلك وما علمه الله لا يقبل الشك

ومعناه: أن ما اشتمل عليه القرآن من المعاني هو من مراد الله وصدر عن علمه. ويجوز أيضا أن يفيد هذا شهادة بعلو القرآن وحكمته، وتأكيد الكلام ب (إن) لرد إنكار المخاطبين إذ كذبوا أن يكون القرآن موحى به من الله ولدينا ظرف مستقر هو حال من ضمير إنه أو من أم الكتاب وأفادت الدنية هنا في: زيادة تحقيق الخبر وتشريف المخبر عنه. (١)

٢-النصر والغلبة على الأعداء:

من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عبادة المؤمنين أنه سبحانه الناصر لهم والمعين

قال تعالى: ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾(٢) يذكر الله سبحانه وتعالى عباده بأن نصرهم على أعدائهم في غزوة بدر إنما هو من عند الله سبحانه وما جعل إمدادكم بالملائكة إِلَّا بُشْرى لَكُمْ بالنصر وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ولتسكن إليه من الخوف، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لاَ من العدة والعدد، وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد وإنما أمدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطاً على قلوبهم، من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب أكثر، وحثاً على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم. (٣)

---

(١) التحرير والتنوير(٢٥ /١٦٢)

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٢٦)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٣٧)

فمعنى العندية هنا: أن آثار النصر وبدو السلامة من الله وفيه تقوية لمعنى البشرى فمن لم يطلب النصر والسلامة بالذلة والافتقار لا يناله، لأن طالب النصرة بالقوة والقدرة منازعة الربوبية، ومن نازع الولي قهره[١]

٣-الأرزاق الكثيرة من عند الله: أنعم الله سبحانه وتعالى على عبادة بأرزاق كثيرة، لا يعلمها إلا هو والرزق هو ما قسم للعبد من صنوف ما يحتاج إليه مطعوما ومشروبا وملبوسا، وقيل ما يعطي المالك لمملوكه قدر ما يكفيه، وهو لا يزيد ولا ينقص بالترك[٢]

قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣]

يسأل نبي الله زكريا عليه السلام السيدة مريم عليها السلام من أي وجهة لك هذا الذي عندك من الرزق ؟

لأنه كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً: فاكهة في غير أوانها، فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غضّا طريّا. فأجابت مريم عليها السلام قائلة هو مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ.

فمعنى العندية هنا: إن الله يرزق من يشاء من خلقه بغير إحصاء ولا عدد يحاسب عليه عبده، فارزق الله تعالى غير محدود بحد، ولا مقدر بقدر؛ ولذا

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي(٢٤٤/١)، زهرة التفاسير(١٤٠٠/٣)

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد على التهانوى، تاريخ وفاة المؤلف: ١١٥٨ ق الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، مكان الطبع: بيروت، سنة الطبع: ١٩٩٦ م(٩٠٦/١)

(٣) سورة آل عمران: الآية (٣٧)

لَا يحده الحساب، ولا تجري عليه الأعداد التي تنتهي. [١]

وفي ذكر الضمير في قوله: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إيذانا بنظرها إلى مجموع حقيقة ذلك الرزق، لا إلى أعيانه، فهو إنباء عن رؤية قلب، لا عن نظر عين، لأن {هُوَ} كلمة إضمار جامعة لكل ما تفصل صورة مما اتحد مضمره، ولما لم يكن من معهود ما أظهرته حكمته، سبحانه، مما يجريه على معالجات أيدي الخلق، قالت: {مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ذي الجلال والإكرام، لأن ما خرج من معهود معالجة الحكمة فهو من عنده، وما كان مستغربا فيما هو من عنده فهو من لدنه، فهي ثلاث رتب: رتبة لدنيه، ورتبة عندية، ورتبة كمية عادية، فكان هذا من وسط الثلاث[٢]

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣]جائت هذه الآية الكريمة في قصة إبراهيم عليه السلام عندما ترقى من مرتبة الكمال إلى مرتبة إرشاد الخلق، وتصدى للدعوة إلى طريق الحق، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له فى السر والعلن، واتقاء سخطه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، ثم أرشدهم إلى فضل ما يدعوهم إليه، وفساد ما هم عليه بقوله: ﴿إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ أي ما تعبدون من دون الله إلا تماثيل هى مصنوعة بأيديكم، وتكذبون حين تسمّونها آلهة، وتدّعون أنها تشفع لكم عند ربكم، ثم زاد فى النعي عليهم والتهكم بهم، وبيان أن ذلك لا يجديهم نفعا، أي إن أوثانكم التي تعبدونها لا تقدر أن ترزقكم شيئا من الرزق الذي لا قوام لكم

---

(١) تفسير الثعلبي (٣/ ٥٨)، زهرة التفاسير (٣/ ١٢٠١)

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي (ص: ٥٨٤)

(٣) سورة العنكبوت: الآية (١٧)

بدونه، فكيف تعبدونها؟ ثم ذكر لهم من ينبغي أن يعبد فقال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أي فالتمسوا الرزق عند الله لا عند أوثانكم تدركوا ما تطلبون، واعبدوه وحده، واشكروا له نعمه عليكم مستجلبين بذلك المزيد من فضله.(١)

فمعنى العندية هنا: أن الرزق لا ينبغي أن يطلب أو ينتظر إلا من عند الله سبحانه، مالك الأمر، وميسر الأسباب ومجري الكون وخالق الخلق ومدبر لكل شيء أمره قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(٢)

وبهذا يكون الرزق المادي لعباد الله الصالحين، مصحوبا بعبادة الله وشكرا له سبحانه على هذه النعم، بالإضافة إلى الاستعانة بالله وحده لطلب هذا الرزق .

المطلب الثاني
نعم لسائر الأنبياء

يقول تعالى مخبرا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٣) أي: لمن المختارين المجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون ويعني بالعندية: المكانة اصطفاهم الله من بين خلقه فقربهم إليه وجعلهم أخيارا(٤)

---

(١) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م(٢٠/ ١٢٤)

(٢) سورة هود: الآية (٦)

(٣) سورة ص: الآية (٤٧)

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٩/ ١٦٥)، تفسير ابن كثير ت سلامة، (٧/

ولنأخذ على سبيل المثال نعم أنعم الله بها على:

-نوح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾[١]

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن نبيه نوح: أنه قال لقومه: أرأيتم أي: أخبروني إن كنت على بينة من ربي أي: على يقين ونبوة صادقة لا شك فيها، وَآتَانِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ هي النبوةُ مما أوحى إلي من التوحيد والهدى، ، ويجوز أن تكون هي البينةَ نفسَها جيء بها إيذاناً بأنها مع كونها بينةً من الله تعالى رحمةٌ ونعمةٌ عظيمة من عنده، فخفي ذلك كله عليكم، ولم تعتقدوا أنه حق، أيمكنني أن ألزمكم به، وأجبر قلوبكم على الانقياد والإذعان لتلك البينة التي تفضل الله علي بها، ورحمني بإيتائها، والحال أنكم كارهون لذلك؟ يعني ليس بيدي توفيقكم إلى الهدى وإن كان واضحا جليا لا لبس فيه، إن لم يهدكم الله جل وعلا إليه[٢]فمعنى العندية هنا: أن الله تعالى أعطى نوح عليه السلام النبوة والوحي من عنده، فخفيت عليكم و بادرتم إلى التكذيب. [٣]

سليمان عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[٤].

لما ذكر الله تعالى ما أنعم به على سليمان في الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه في الآخرة أي إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا.

---

٧٦) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٧٦)

(١) سورة هود: الآية (٢٨)

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ١٧٧)، تفسير أبي السعود(٣/٣٤٠)

(٣) التفسير المنير للزحيلي (١٢/ ٥٦

(٤) سورة ص: الآية: (٤٠)

وَحُسْنَ مَآبٍ هو الجنة[١]

فمعنى العندية هنا: لقد منح الله سليمان عليه السلام خيري الدنيا والآخرة، وجمع له بين الملك والنبوة كأبيه داود عليهما السلام، وسخّر الله له ملكا عظيما وسلطة شاملة على الإنس والجن والشياطين. وهذا لم يتأت لأحد قبله ولا بعده[٢].

المطلب الثالث

نعم لسائر الخلق

ولأن الله تعالى لا يحرم أحدا من نعمه، فقد أنعم بنعم كثيرة على سائر الخلق وعلى سبيل المثال:

نعم للعبد الصالح: قال تعالى: " ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[٣] بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة اللقاء الذي حدث بين موسى عليه السلام والعبد الصالح الخضر وإذا سمى الله إنسانا بأنه عبده جعله من جملة الخواص فإذا قال: «عبدى» جعله من خاص الخواص فالتنكيرُ للتفخيم والإضافةُ للتشريف وعدل عن الإضافة إلى التنكير والصفة لأنه لم يسبق ما يقتضي تعريفه، وللإشارة إلى أن هذا الحال الغريب العظيم الذي ذكر من قصته ما هو إلا من أحوال عباد كثيرين لله تعالى. وما منهم إلا له مقام معلوم .

فمعنى العندية هنا: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾: أي صار مرحوما من قبلنا بتلك الرحمة التي خصصناه بها من عندنا، فيكون الخضر بتلك الرحمة مرحوما، ويكون بها راحما على عبادنا، قال المفسرون: المراد بالرحمة

---

(١) تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠)، تفسير الخازن (٤/ ٤٤)

(٢)التفسير المنير للزحيلي (٢٣/ ٢٠٥

(٣) سورة الكهف: الآية (٦٥)

النبوة؛ فيكون الخضر نبيا، وكان بعضهم يقول: الرحمة على إبقائها وقدم ذكرها احتراسا لما يأتي من قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ﴾ وقتله للغلام يوهم اتصافه بالغلظة والجفاء فاحترس من ذلك بأنه متصف بكمال الرحمة، وما فعل ذلك إلا بأمر من الله إما بوحي إن كان نبيا على لسان الملك، أو بأنها أمر من الله تعالى إن كان وليا. (١)

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾: قيل العلم من لدن الله ما يتحصل بطريق الإلهام دون التكلف بالتّطلّب ويقال ما يعرّف به الحقّ- سبحانه- الخواص من عباده ويقال ما يعرّف به الحق أولياءه فيما فيه صلاح عباده وقيل هو ما لا يعود منه نفع إلى صاحبه، بل يكون نفعه لعباده ممّا فيه حقّ الله- سبحانه، ويقال هو ما لا يجد صاحبه سبيلا إلى جحده، وكان دليلا على صحة ما يجده قطعا، فلو سألته عن برهانه لم يجد عليه دليلا فأقوى العلوم أبعدها من الدليل، فمعنى اللدنية هنا: ﴿عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ هو الإعلام بطريق الوحي

و (عند) و (لدن) كلاهما حقيقته اسم مكان قريب. ويستعملان مجازا في اختصاص المضاف إليه بموصوفهما و (من) ابتدائية، أي آتيناه رحمة صدرت من مكان القرب، أي الشرف وهو قرب تشريف بالانتساب إلى الله، وعلما صدر منه أيضا. وذلك أن ما أوتيه من الولاية أو النبوءة رحمة عزيزة، أو ما أوتيه من العلم عزيز، فكأنهما مما يدخر عند الله في مكان القرب التشريفي من الله فلا يعطى إلا للمصطفين والمخالفة بين من عندنا وبين من لدنا للتفنن تفاديا من إعادة الكلمة.

وفي قوله: وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً إشارة إلى أنه تعالى أطلعه على بواطن الأشياء وحقائقها، وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وإنما يحصل بتصفية

---

(١) تفسير ابن عرفة (٣/ ٩٥)

النفس وتجريد القلب عن العلائق الجسمانية. وقد ذهب موسى إلى تعلم العلم فكان من الواجب على الخضر أن يظهر له علما يمكن تعلمه، فبين علم الخضر وبين مقصد موسى تباين وتناف فلهذا قال الخضر: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وفي إظهار المسائل الثلاث إشارة إلى أن العلم الظاهر يباين العلم اللدني وليس من التعليم والتعلم في شيء. [١]

(١) تفسير النيسابوري (٤/ ٤٥٤) تفسير أبي السعود (٥/ ٢٣٤) التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٩

المبحث الثالث

العندية في دعاء الصالحين .ويشتمل على مطلبين:

الدعاء من أجل العبادات، وأعظم الطاعات، ومن أهم مقامات العبودية عن النعمان بن بشير أنه عليه السلام قال: «الدعاء هو العبادة»[١]، وهو عنوان التذلل لله والانكسار بين يدي العزيز القهار لهذا أمر الله تعالى عباده أن يتوجهوا إليه وحده بالسؤال والدعاء فقال تعالى: ﴿واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيئ عليما﴾ [٢] وقال تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾[٣] [٤]

ومن أكثر الناس دعاء وتذللا لربهم هم صفوة خلقه من أنبيائه ورسله لأنهم أعرف الناس بالله لهذا حاء لمطلب الأول كما يلي:

المطلب الأول

العندية في دعاء الأنبياء

سطر القرآن الكريم بين ثناياه، دعوات خالدات، لتكون نبراسا يستضاء به في كل وقت، وذكر أمثلة كثيرة متنوعة للأخيار من عباد الله، الذين رفعوا أكف الضراعة إليه سبحانه، ومن هؤلاء الأنبياء لأن حياتهم كلها في ديمومة اللجوء إليه سبحانه، لأن العبد "كلما عظمت معرفته بالله، وقويت صلته به، كان دعاؤه له أعظم، وانكساره بين يديه أشد" [٥]

دعاء النبي محمد ﷺ: وقد علم الله تعالى نبيه محمدا ألوانا راقية من الدعاء

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب: فضل الدعاء (٣٧٦/١)، أخرجه ابن ماجه في سننه باب: فضل الدعاء(٢/ ١٢٥٨ ح ٣٨٢٨)

(٢) سورة النساء الآية (٣٢)

(٣) سورة غافر الآية (٦٠)

(٤) تفسير الرازي (٥/ ٢٦٣)

(٥) فقه الأدعية (٩)

الخالص له سبحانه من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (١) بين الله تعالى في هذه الآية دعاء نبيه محمد لربه هو دعاء علّمه إياه ربه، ليدعو به عند كل أمر يعالجه، ويعمل له، وهو أن يستعين ربّه عليه، بأن يدخله مدخل الصّدق إلى هذا الأمر، ويسدّد خطاه عليه، ويهيئ له الأسباب، حتى يخرج منه موفقا، بالغا الغاية المرجوة منه، ، فهو دعاء بأن يحاط في المدخل والمخرج بالفضائل الإنسانية، والمكارم كلها، والحق من كل نواحيه، وهكذا كل أمر يعالجه النبي، يدعو الله أن يكون دخوله إليه من مدخل الحق، لا يبغى غير الحق ولا يعمل لغير الحقّ، وأن يكون خروجه منه من مخرج الحقّ، فلا يتلبّس أثناء ممارسته لهذا الأمر بشيء من الباطل.. وهذا إنما يستعان عليه بالله سبحانه وتعالى، ولهذا جاء قوله تعالى: «وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً» فبهذا السلطان الذي يمدّه الله به، يجد الحراسة القوية الأمينة، التي تدفع عنه كلّ عارض يعرض له من وهن أو ضعف أو خذلان، والإضافة للمبالغة. (٢)

فمعنى اللدنية هنا: ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ أي من عندك، وهي خاصة بالعندية لدى الذات العلية، وقد أعطاه اللَّه سبحانه وتعالى كل ما طلب، وأعطاه سلطانا له ولمن معه فأجيبت دعوته وعصمه اللَّه تعالى من الناس وجعل حزبه هو الغالب وقال: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٣)، وأظهر دينه على الدين كله، واستخلفهم في الأرض ونزع اللَّه ملك فارس

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٨٠)

(٢) تفسير الألوسي (٨/ ١٣٧ – ١٣٨)، التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٥٣٤

(٣) سورة المائدة: جزء من الآية (٥٦)

ومما لك أخرى، وهكذا[١]

من دعاء زكريا عليه السلام:

قال تعالى حكاية عن زكريا –عليه السلام–: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [٢]

عِنْدَمَا رَأَى زَكَرِيَّا حُسْنَ حَالِ مَرْيَمَ وَمَعْرِفَتَهَا وَإِضَافَتَهَا الْأَشْيَاءَ إِلَيْهِ، في ذلك المكانِ حيث هو قاعدٌ عند ها في المحراب الذي شهد فيه فيضا إلهيا، ولم يزل أهل الخير يتوخون الأمكنة بما حدث فيها من خير، والأزمنة الصالحة كذلك، وما هي إلا كالذوات الصالحة في أنها محال تجليات رضا الله. ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ مُتَمَنِّيًا لَوْ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ صَالِحٌ، فعمد إلى الدعاء بطلب الولد في غير إبانه، لكبر سنه وكون امرأته عاقراً، لكنه توجه بهذا الدعاء وذاك الرجاء لمن لا يعجزه شيء، لذلك عبر بلفظ الهبة لأن ذلك إحساناً محضاً فقال: هِبَةً مِنْ لَدُنْك أي مِنْ مَحْضِ فَضْلِك، فكأنه دعا ربه أن يعطيه ذرية بدون وسط معتاد، ثم أثنى على الله تعالى بما هو أهله فقال: "إنك سميع الدعاء "أي: كثير الإجابة لمن يدعوك من خلقك[٣]

فمعنى اللدنية هنا: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ أي أعطني أنت عطاء كريما لَا سبب له إلا إرادتك، ولا باعث عليه إلا رحمتك، فلا يكون الأمر فيه جاريا على مقتضى الأسباب ومسبباتها، إنما يكون على مقتضى الهبة المجردة، والعطاء الخالص الذي لا سبب له إلا إرادتك الأزلية وإلا رحمتك: (مِن لَّدُنكَ) أي من عندك، أي السبب يكون من عندك لَا من عندي، لأن الأسباب عندي قد زالت، ولم يعد إلا

---

(١) زهرة التفاسير (٨/ ٤٤٤٠)

(٢) سورة آل عمران: الآية (٣٨)

(٣) تفسير أبي السعود (٢/ ٣١)، التحرير والتنوير (٣/ ٢٣٨)، تفسير المنار (٣/ ٢٤٣)

سبب منك، وإلا معجزة تكون فيها المانح المعطي من غير أي علة أو ترتيب، والتعبير بـ (لَّدُنكَ) التي لَا تكاد تستعمل في القرآن إلا في جانب الله تعالى يفيد العندية العالية السامية، لَا العندية القريبة المقارنة، ولا العندية المقاربة.(١)

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾(٢)

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ "فهب لي" " الفاء " لبيان ترتيب ما بعدها على مع ما قبلها، فهو مترتب على رجائه في اللَّه تعالى، وترك الرجاء من جهة الأسباب العادية وكان التعبير بـ " هب "، أي أنه هبة مجردة من فضلك وإرادتك أنت الفاعل المختار، والهِبَة هي العطاء بلا مقابل، فالأسباب هنا مُعطَّلة، والمقدمات تقول: لا يوجد إنجاب؛ لذلك لم يقُلْ مثلاً: أعطني؛ لأن العطاء قد يكون عن مقابل، أما في هذه الحالة فالعطاء بلا مقابل وبلا مقدمات، فكأنه قال: يارب إنْ كنتَ ستعطيني الولد فهو هِبَة منك لا أملك أسبابها.

فمعنى اللدنية هنا: (مِن لَّدُنكَ) تأكيد بأنه من قِبَل الله تعالى لَا دخل للأسباب العادية فيه، بل إنه خرق لهذه الأسباب(٣)

---

(١) زهرة التفاسير (٣/ ١٢٠٣)

(٢) سورة مريم: الآية (٥)

(٣) زهرة التفاسير (٩/٤٦١١)، تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٠٢٩

المطلب الثاني
العندية في دعاء الصالحين

وسنقف على نماذج من هذه الدعوات المباركة لهؤلاء الأخيار في كتاب ربنا العزيز الوهاب :

١- دعاء الراسخين في العلم:

يقول سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[١]

ذكر الله تعالى حال الراسخين في العلم فكانوا دائمين الإيمان بالمحكم والمتشابه على حد سواء

قال الإمام الألوسي: (يحتمل أن يكون من تمام مقالة الراسخين، ويحتمل أن يكون على معنى التعليم- أي قولوا رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا عن نهج الحق إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا إلى معالم الحق من التفويض في المتشابه أو الإيمان بالقسمين، أو التأويل الصحيح، ويؤول المعنى إلى لا تضلنا بعد الهداية لأن زيغ القلوب في مقابلة الهداية ومقابلة الهداية الإضلال. وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ كلا الجارين متعلق- بهب- وتقديم الأول اعتناء به وتشويقا إلى الثاني، ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول أي كائنة من لدنك، ومِنْ لابتداء الغاية المجازية، ولدن- ظرف، وهي لأول غاية زمان، أو مكان، والمراد بالرحمة الإحسان والإنعام مطلقا، وقيل: الإنعام المخصوص وهو التوفيق للثبات على الحق، وفي سؤال ذلك بلفظ لأنه إشارة إلى أن ذلك منه تعالى تفضل محض من غير شائبة وجوب عليه عز شأنه) [٢]

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٨)

(٢) تفسير الألوسي (٢/ ٨٧ -٨٨)

فأفادت اللدنية هنا: أن المحكم والمتشابه منزل من عند الله وطلب الرحمة الخاصة منه سبحانه.

٢- دعاء المستضعفين من المسلمين الذين منعوا من الهجرة إلى المدينة:

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾[١] الْمُسْتَضْعَفُونَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمَحْصُورُونَ فِي مَكَّةَ يَضْطَهِدُهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَيَظْلِمُونَهُمْ، بَيَّنَ أَنَّهُمْ فَقَدُوا مِنْ قَوْمِهِمْ - لِأَجْلِ دِينِهِمْ - كُلَّ عَوْنٍ وَنَصِيرٍ، وَحُرِمُوا كُلَّ مُغِيثٍ وَظَهِيرٍ، فَهُمْ لِتَقَطُّعِ أَسْبَابِ الرَّجَاءِ بِهِمْ يَسْتَغِيثُونَ رَبَّهُمْ، وَيَدْعُونَهُ لِيُفَرِّجَ كَرْبَهُمْ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْقَرْيَةِ وَهِيَ وَطَنُهُمْ لِظُلْمِ أَهْلِهَا لَهُمْ، وَيُسَخِّرَ لَهُمْ بِعِنَايَتِهِ الْخَاصَّةِ مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُمْ لِيُهَاجِرُوا إِلَيْكُمْ وَيَتَّصِلُوا بِكُمْ ؛ فَإِنَّ رَابِطَةَ الْإِيمَانِ أَقْوَى مِنْ رَوَابِطِ الْأَنْسَابِ وَالْأَوْطَانِ [٢]

فهم يتضرعون إليه سبحانه بقولهم "وجعل لنا من لدنك وليا" أي: أن يجعل لهم وليا ينتمون إليه، وولاية قوية يشعرون تحت سلطانها بالعزة والكرامة، ويبتعدون عن ولاية الكافرين الظالمة العاتية الباغية"وجعل لنا من لدنك نصيرا" أي: وأن يجعل لهم من ينصرهم، ويخرجهم من نير أهل الكفر، فهاهنا ثلاثة مطالب متلاحقة لهم توجهوا بها إلى ربهم:

أولها: الإخراج من نير الظلم، وحكم الظالمين.

وثانيها: أن يكونوا تابعين لولاية دولة تحميهم.

وثالثها: أن يكون لهم من الله نصير دائم ينصرهم، فلا يتمكن الأعداء

---

(١) سورة النساء: الآية (٧٥)

(٢) تفسير المنار (٥/ ٢١١)

أن النص يفيد أنهم يحسون بأن النصرة لَا تكون إلا من الله، وأن الولاية لَا تكون إلا منه فهم بذلك معتزون مطمئنون، ولو كانوا مستضعفين لا حول لهم ولا طول؛ لأن من التجأ إلى الله تعالى عزيز، ولو كان في أرض الذل.

و في التعبير ب(لَدنكَ) وهي بمعنى (عند): ولا تكاد تستعمل في القرآن إلا مضافة إلى لفظ الجلالة، فهذا التعبير يشير إلى أن أولئك الضعفاء قد لَجأوا إلى الجانب الأعلى الذي لَا يدانيه علو في الأرض ولا في السماء، وإذا كانوا قد لجأوا إلى الله، فإن الله ناصرهم.(١)

٣- دعاء أصحاب الكهف: قال تعالى: " إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً " (٢) فالمقصود إجمال قصتهم ابتداء، تنبيها على أن قصتهم ليست أعجب آيات الله، مع التنبيه على أن ما أكرمهم الله به من العناية إنما كان تأييدا لهم لأجل إيمانهم، فلذلك عطف عليه قوله: فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة،

ودلت الفاء في جملة فقالوا على أنهم لما أووا إلى الكهف بادروا بالابتهال إلى الله، ودعوا الله أن يؤتيهم رحمة من لدنه، وذلك جامع لخير الدنيا والآخرة، أي أن يمن عليهم برحمة عظيمة تناسب عنايته باتباع الدين الذي أمر به، فأفادت من لدنك: للتعلق بفعل الإيتاء تشير إلى ذلك، لأن في (من) معنى الابتداء وفي (لدن) معنى العندية والانتساب إليه، فذلك أبلغ مما لو قالوا: آتنا رحمة، لأن الخلق كلهم بمحل الرحمة من الله، ولكنهم سألوا رحمة خاصة وافرة في حين توقع ضدها، وقصدوا الأمن على إيمانهم من الفتنة، أي أنهم أخذوا فى التبرّى من حولهم وقوّتهم، ورجعوا إلى الله بصدق فاقتهم، فاستجاب لهم دعوتهم، ودفع عنهم ضرورتهم، ولئلا يلاقوا في

---

(١) زهرة التفاسير (٤/ ١٧٦٤ - ١٧٦٥)

(٢) سورة الكهف: الآية (١٠)

اغترابهم مشقة وألما، وأن لا يهينهم أعداء الدين فيصيروا فتنة للقوم الكافرين، ثم سألوا الله أن يقدر لهم أحوالا تكون عاقبتها حصول ما خولهم من الثبات على الدين الحق والنجاة من مناوأة المشركين، فعبر عن ذلك التقدير بالتهيئة التي هي إعداد أسباب حصول الشيء. (١)

٤- دعاء امرأة فرعون:

قال تعالى: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"(٢)

ضرب- سبحانه- مثلا للمؤمنين بامرأة فِرْعَوْنَ وهي آسية ابنة مزاحم، التي لم يمنعها ظلام الكفر الذي كانت تعيش فيه في بيت فرعون، ولم يشغلها ما كانت فيه من متاع الحياة الدنيا وزينتها.. عن أن تطلب الحق، وتعرض عن الباطل، وأن تكفر بكل ما يدعيه زوجها من كذب وطغيان.فتوجهت إلى ربها داعية قالت رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ أى: ابن لي بيتا في مستقر رحمتك، أو في جنتك التي لا يستطيع أحد التصرف فيها إلا بإذنك وقوله: فِي الْجَنَّةِ بدل أو عطف بيان لقوله- تعالى- "عِنْدَكَ" وقدم عندك، للإشعار بأن محبتها للقرب من رحمته- تعالى- أهم من أى شيء آخر(٣)

وجوز أن يكون المراد بعندك أعلى درجات المقربين فطلبت جوار القربة، ولبيت في الجوار أفضل من ألف قصر في غير الجوار، لأن ما عند الله تعالى خير، ولأن المراد القرب من العرش، و { عِنْدَكَ } بمعنى عند عرشك ومقر عزك(٤)

---

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٦٥)، تفسير القشيري(٢/ ٣٧٩)

(٢) سورة التحريم: الآية (١١)

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ٤٨٢)

(٤) تفسير الألوسي (٢١/ ١١٣)

معنى العندية هنا: عندية القربة والكرامة ولكنه على كل حال بيت له ميــزة على غيره، وله خصوصية وإن قيل: ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة؟ يجاب فيقال: طلبت القرب من رحمة الله ثم بينت مكان القرب بقولهــا: فــي الجنة أو أرادت ارتفاع درجتها في جنة المأوى التي هي أقرب إلى العــرش. وقيل العندية هنا: أي قريبا من رحمتك لأن الله منزه عن الحلول في مكــان أو ابن لي في أعلى درجات المقربين أو من عندك بلا استحقاق منــى بــل كرامة منك. والمعاني متقاربة (١)

وهكذا نرى هؤلاء الأخيار يتوجهون إلى الله سبحانه بخالص الدعوات خاصة إذا لم يكن لهم نصير إلا الله سبحانه، فهم حينما يفتقدون كل عون ونصــير، ويحرمون من كل ظهير ومعين يستغيثون ربهم فلا يفرج الكرب غيــره، ولا يبدل الأحوال سواه.

(١) تفسير الرازي (٣٠/٥٧٥)، لطائف الإشارات(٣/٦٠٩)

المبحث الرابع
ما عند الله للصالحين من عبادة

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

للصالحين عند ربهم مكانهم ومكانتهم، في الدنيا والآخرة فهم أولياؤه وأحبابه وحماة دينه وشريعته يقول سبحانه في الحديث القدسي "[١] أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَالًا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ " وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٢] وسنقف في السطور الآتية على بعض ما أعده الله تعالى لهؤلاء الأخيار .

المطلب الأول
ما عند الله للشهداء

للشهداء عند الله منازل من النعيم لا تعد ولا تحصى لأنهم قدموا أرواحهم فداء لدينهم ووطنهم ومن هذه النعم:

١- الحياة عند الله مع الرزق الحسن، والتكريم العظيم:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣] يخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن الشهداء بأنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا من خلفهم

---

(١)الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح الحميدي، دار النشر / دار ابن حزم – لبنان/ بيروت – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م (٩٨/٣)، سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي(١٤٤٧/٢ ح ٤٣٢٨) وقال الشيخ الألباني: صحيح

(٢) سورة الأنبياء: الآية (١٠٥)

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٦٩)

من المؤمنين، وهو إنهم إذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور، وحزن فوات محبوب، والآية تدل على أن الإنسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن، ولا يتوقف عليه إدراكه وتألمه والتذاذه، روى ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش»[١] [٢] معنى العندية هنا: تقتضي غاية القرب، فهي كن "لدى" ولذلك لم تصغر فيقال! عنيد؛ فهذه عندية الكرامة لا عندية المسافة والقرب، بل في العندية هنا زيادة شرف لهم وتعبير بليغ عن منزلتهم من التكريم والتعظيم [٣] فهم أحياء عنده يرزقون من التحف، فلا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا كسائر الأموات بل أحياء، لأنه يكتب لهم أجرهم إلى يوم القيامة، فكأنهم أحياء في الآخرة فهم عند ربهم يشاهدونه مدة بقائهم، يرزقون من ثمار المعارف وفواكه العلوم، فرحين بما أتحفهم الله به من القرب والسر المكتوم، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم في المرتبة ممن تعلق بهم، وأنهم سيصلون إلى ما وصلوا إليه من معرفة الحي القيوم، فلا يلحقهم حينئذ خوف ولا حزن ولا هم ولا غم، لما سكن في قلبهم من خمرة محبة الحبيب، والقرب من القريب المجيب[٤]

٢- الأجر العظيم:

قال تعالى: ﴿بَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب: الإمارة باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون(٣/١٥٠٢ ح١٨٨٧)

(٢) تفسير البيضاوي (٢/ ٤٨)

(٣)تفسير القرطبي(٤/٢٧٤)، لباب التأويل في معاني التنزيل(١/٣١٩)

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (١/٢٦٤)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد(١/٤٣٦)

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١]

فهُمُ الْفائِزُونَ بسعادة الدنيا والآخرة يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بأعظم البشارات لأن الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ يعني أن نعيم الجنة دائم غير منقطع إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله. [٢] معنى العندية هنا: يفيد التأكيد والتعليل أي أعطاهم الله سبحانه هذه الأجور العظيمة لكون الأجر الذي عنده عظيماً يهب منه ما يشاء لمن يشاء.[٣]

المطلب الثاني

ما عند الله للمنفقين في سبيله

من أعظم أبواب الخير إنفاق الأموال ابتغاء مرضات الله تعالى وقد أعد الله تعالى للمنفقين بإخلاص غير مقيدين بزمان ولا حال ولا مكان من النعم العظيمة منها:

أن أجرهم عند ربهم: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤]

عظم الله تعالى أمر الإنفاق في سبيله بشرط ترك المن والأذى، بينت العندية هنا: {أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} مالهم من الثواب وكَفَى بِهَذَا فَضْلًا وَشَرَفًا لِلنَّفَقَةِ [٥] فقد أفادت الإضافة الاستحقاق أي أجرهم (اللائق) بهم فواحد يقل

---

(١) سورة التوبة: الآيتين (٢١-٢٢)

(٢)تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٣٤٣

(٣)فتح البيان في مقاصد القرآن (٥/ ٢٥٨

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٦٢)

(٥) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٥٥٢/١)، تفسير الرازي (٤٠/٧)

أجره وواحد يكثر وآخر في مادة التوسط بحسب (عمله) ونفقته وتقييدِ الأجر بقوله عِندَ رَبّهِمْ من التأكيد والتشريفِ ما لا يخفى[١]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]

هذا مدح منه سبحانه للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار، وفي جميع الأحوال من سر وجهار "فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ"، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا بينت العندية هنا: أجرهم اللاّئق عند ربهم وتعظيم شأن أجرهم [٣]

المطلب الثالث

ما عند الله لأهل الإيمان والتقوى

أعد الله سبحانه وتعالى لعبادة الصالحين أجرا كبيرا، وقد تحدثت آيات كثيرة في القرآن الكريم عن هذا النعيم المقيم، الذي أعده رب العالمين لعباده المتقين في مواضع كثيرة منها:

١- الأجر العظيم الذي لا يعلم مقداره إلا الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٤]

نزلت هذه الآية الكريمة ردا على مزاعم اليهود والنصارى عندما قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقد بينت الآية أن الذي يستحق

---

(١) ينظر: تفسير ابن عرفة (١/ ٣٢٠)، تفسير أبي السعود (١/ ٢٥٨)

(٢) سورة البقرة: الآية(٢٧٤)

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٧٧)

(٤) سورة البقرة: الآية (١١٢)

الأجر العظيم من الله هو صاحب الإيمان والتعبير عما وعد بالأجر إيذانا بقوة ارتباطه بالعمل عِنْدَ رَبِّهِ حال من أجره والعامل فيه معنى الاستقرار، فأفادت العندية هنا: التشريف، والمراد عدم الضياع والنقصان فضمنت النعيم في الآخرة لمن تقدمت صفاته في الآية وهو الذي أسلم وجهه بالتزام الطاعات، وهو محسن قائم بآداب الخدمة بحسن آداب الحضور فهؤلاء ليس عليهم خوف الهجر، ولا يلحقهم خفي المكر، فلا الدنيا تشغلهم عن المشاهدة ولا الآخرة تشغلهم غدا عن الرؤية، وأتى- بالرب- مضافا إلى ضمير مَنْ أَسْلَمَ إظهارا لمزيد اللطف به وتقريرا لمضمون الجملة[1]فمن تولاه الله وتولى حفظه فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن.

وقال تعالى: ﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ﴾[2]وفى هذا بيان لمقدار عناية الرحمن الرحيم بهم.

فقد أعد الله للمتقين من عباده جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها، هيأ ذلك لهم وأعده نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هذا النزول الذي يقدم للضيف، وأما ما أعد لهم بعد النزول فلا يعبر عنه لسان، ولذلك قال: وَما عِنْدَ اللَّهِ من النعيم الذي لا يفنى، جسماني وروحاني، خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ، فأفادت العندية هنا: بيان رفعة منزلة المتقين في الجنان، ثم أبْهم لطائف العناية بقوله: وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ أي: ما عنده من نعيم المشاهدة، ولطائف القربة، وحلاوة

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ(٣٥٩/١)، البحر المديد (١٥٢/١)

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٩٨)

الوصلة، خير مما هم فيه من نعيم الجنة[١]

٢- دار السلام – الجنة –

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢] أعد الله سبحانه وتعالى لهؤلاء القوم الملتزمين طريق الاستقامة دار السلامة والطمأنينة وهي الجنة لأنهم التزموا منهج الأنبياء عِنْدَ رَبِّهِمْ أي يوم القيامة، والله وليهم أي متولي أمورهم وكافيهم، جزاء على صالح أعمالهم. [٣] أضاف سبحانه إليه وإلى ذاته الدار زيادة في الترغيب فيها، ثم زاد الترغيب فيها بقوله: (عند ربهم) أي في ضمان المحسن إليهم وحضرته بما هيأهم له ويسره لهم، فالعندية هنا: تدل على قربهم من الله تعالى لما شرح من صدورهم بالتوحيد ُ كأن سائلا يسأل عما أعد الله تعالى للمتذكرين بما في تضاعيف الآيات فقيل لهم دار السلام عند ربهم أي: نزله وضيافته كما تقول نحن اليوم عند فلان أي في كرامته وضيافته. وقيل العندية كناية عن وعدها والتكفل بها، وفي هذه الآية تشريفات، الأول قوله: لهم دار السلام وهذا يوجب الحصر فمعناه: لهم دار السلام لا لغيرهم، الثاني: سميت جنته دار السلام لأن من دخلها سلم من البلايا والرزايا ومن الأمراض والآفات والخوف والهرم وغير ذلك ويقال: لهم دار السلام فالله السلام والجنة داره يعني: دار رب العزة التي أعد لأوليائه بالثواب وقيل: سميت بذلك لأن كل حالة من حالات أهلها مقرونة بالسلام، فحالات أهل الجنة مقرونة بالسلام إما من الخلق وإما من الحق، و عند ربهم يشعر بأن

---

(١)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ٤٥٥

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٢٧)

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ(٨/ ٤٠)

ذلك الأمر المدخر موصوف بالقرب من الله تعالى وهـذا القـرب لا يكـون بالمكان والجهة فوجب كونه بالشرف والعلو والرتبة وذلك يدل على أن ذلك الشيء بلغ في الكمال والرفعة إلى حيث لا يعرف كنهه إلا الله تعالى [١]

وقد بينت آيات كثيرة من القرآن العظيم ما عند الله لعبـاده فـي دار كرامتـه، ومحل رعايته وعنايته فيقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِـي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [٢] قال بن كثير في تفسيره: {في مقعـد صـدق} أي: في دار كرامة الله ورضوانه وفضله، وامتنانه وجوده وإحسانه[٣] والعندية في الآية: للقرب الشرفي والكرامة، فقربهم منه-سبحانه- بمنزلة من السـعادة والكرامة، قال الإمام الألوسي في تفسيره: والعندية للقرب الرتبي، وذكر بعضهم أنه سبحانه أبهم العندية والقرب ونكر- مليكا، ومقتدرا- للإشارة إلى أن ملكـه تعالى وقدرته عز وجل لا تدري الأفهام كنههما وأن قربهم منه سبحانه بمنزلـة من السعادة والكرامة بحيث لا عين رأت ولا أذن سمعت مما يجل عـن البيـان وتكلّ دونه الأذهان.[٤]

٣-أهل السبق والتقدم إلى رفيع المنازل وعالي الدرجات: هؤلاء الأخيار لهم عند الله فضل وشرف كبير يقول سبحانه وتعالى: " وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ

---

(١) ينظر بتصرف" تفسير الثعلبي (١٨٩/٤)، تفسـير الـرازي (١٨٩/٤)، تفسـير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، للدكتور هاشم محمد علي بن حسـين مهـدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م (٩/ ٥٦)

(٢) سورة القمر: الآيتان (٥٤-٥٥)

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨٧)

(٤) تفسير الألوسي (١٤/ ٩٥)

قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ " [١]

أي: بشر المؤمنين بأنَّ لَهُمْ سابقة ومنزلة رفيعة، أي: سبقت لهم السعادة، ، سميت قدَماً لأن السبق يكون بها، كما سميت النعمة يداً لأنها تُعْطى باليد، وأضيفت إلى الصدق لتحققها وللتنبيه على أنهم إنما ينالونها بصدق القول والنية فإن التصديقَ لا ينفك عن الصدق.[٢]

فالعندية هنا: أفادت زيادة الفضل وإنه من السوابق العظيمة.

٤-لهم عند ربهم ما يطلبون وما يشتهون ويريدون، وأعظم من ذلك رؤية الباري سبحانه .

قال تعالى: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[٣] أي: لهم ما يختارون فيها، لا يجبرون، ولا يكرهون فيها على شيء؛ إذ المشيئة هي صفة كل فاعل مختار، والمزيد رؤية اللَّه تعالى في الجنة، ويشبه: ولدينا مزيد من نعيمها ما لا يبلغ تمنيهم وشهواتهم؛ كقوله – عليه السلام – في صفة نعيم الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» [٤]

---

(١) سورة يونس: جزء من الآية(٢)

(٢) تفسير أبو السعود (١١٧/٤)، تفسير الماوردي (٤٢١/٢)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ(٢/ ٤٤٨)

(٣) سورة ق: الآية (٣٥)

(٤) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بَدْءِ الخَلْقِ: ، باب: مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ(٤/ ١١٨ ح ٣٢٤٤)

فلَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وذلك أنهم يَسألون الله حتى تنتهي مسائلُهم، فيُعْطَوْن ما شاؤوا، ثم يَزيدُهم ما لم يَسألوا، والمزيد النّظر إلى الله عزّ وجلّ روى عن عليّ ﷺ عن النبي عليه السلام في قوله: «ولدينا مَزيدٌ» قال: «يتجلَّى لهم» . وقال أنس بن مالك في قوله: «ولدينا مزيد»: يتجلَّى لهم الرب تعالى في كل جمعة. (١) .

فأفادت اللدنية هنا: بأن الله وعدهم بالمزيد من لدنه أي زيادة على ما يشاؤون مما لم يخطر ببالهم، وذلك زيادة في كرامتهم عند الله .(٢)

٥-الدرجات العلا والمغفرة والرزق الكريم: يقول سبحانه: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٣)

قال الإمام أبو السعود: (وعد الله المؤمنون إيماناً حقاً بأن لَّهُمْ درجات من الكرامة والزلفى وقيل درجاتٌ عاليةٌ في الجنة عِندَ رَبّهِمْ أي كائنةٌ عنده تعالى وإضافة الظرفِ إلى الرب المضافِ إلى ضميرهم مزيدُ تشريفٍ ولطفٍ لهم وإيذانٌ بأن ما وعد لهم متيقَّنُ الثبوتِ والحصولِ مأمونُ الفواتِ) (٤) أفادت العندية هنا: أن المؤمنين الذين حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل، ومحاسن أفعال الجوارح التي هي المعيار عليها من الصلاة والصدقة، لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ كرامة وعلو منزلة، وقيل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم. وَمَغْفِرَةٌ لما فرط منهم. وَرِزْقٌ

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ(٤/ ١٦٤)

(٢) التحرير والتنوير(٢٦٧/٢٦)

(٣) سورة الأنفال: الآية (٤)

(٤) تفسير أبي السعود (٤/ ٤)

كَرِيمٌ أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمده[١] ومعنى كون الرزق كريما أن رازقه كريم، ومن هنا وصفوه بالكثرة وعدم الانقطاع إذ من عادة الكريم أن يجزل العطاء ولا يقطعه فكيف بأكرم الأكرمين تبارك وتعالى [٢]

٦-للأبرار عند ربهم حسن الثواب وكريم الجزاء: يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ﴾[٣]

في هذه الآية الكريمة من ألوان الفضل الإلهي لهؤلاء الأخيار:

أ – محو السيئات وغفران الذنوب جوابا لقولهم: فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا.

ب- هذا الثواب مقرون بالتبجيل والإجلال جوابا لطلبهم: وَلا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ.

ج- إعطاء الثواب العظيم وهو قوله: لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وهذا ما طلبوه بقولهم: وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ.

د- هذا الثواب من الله مؤكد الوقوع والوجود كما أنه عظيم وهائل . [٤]

افادت العندية: تأكيد ذلك الثواب ليكون في غاية الشرف لأنه تعالى لما كان قادرا على كل المقدورات، عالما بكل المعلومات، غنيا عن الحاجات، كان لا

---

(١)تفسير البيضاوي (٣/ ٥٠(

(٢)تفسير الألوسي = روح المعاني (٥/ ١٥٨)

(٣) سورة آل عمران: جزء من الآية (١٩٥)

(٤) التفسير الواضح، للدكتور / محمد محمود حجازى، دار النشر: دار الجيل الجديد(١/ ٣٢٦)

محالة في غاية الكرم والجود والإحسان، فكان عنده حسن الثواب. [١] كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار﴾[٢]

٧-النجاة واللطف عند البلاء: يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾[٣] فالآية الكريمة بشارة للمؤمنين الشاكرين حتى يزدادوا من الطاعة لربهم، وتعريض بسوء مصير الكافرين الذين لم يشكروا الله- تعالى- على نعمه أفادت العندية: التنويه بشأن هذه النعمة لأن ظرف (عند) يدل على الادخار والاستئثار مثل (لدن) في قوله: من لدنا. فذلك أبلغ من أن يقال: نعمة منا أو أنعمنا. [٤]إن ما عند الله من كريم العطاء وحسن الجزاء وكريم الثواب، لا ينال لكل أحد، ولا يحصل عليه كل إنسان، إنه ثواب الصالحين من عباد الله تعالى الذين أخلصوا النية، وصدقوا العمل، وواصلوا الطاعة حتى أتاهم اليقين.

---

(١)تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩/ ٤٧١(

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٩٨)

(٣) سورة القمر: الآيتان (٣٤-٣٥)

(٤)التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٠٥)

المبحث الخامس
العندية في مجالي التبشير والإنذار

ويشتمل على مطلبين:

أن أسلوب التبشير والإنذار من أهم وسائل الدعوة إلى فعل الخير والنهي عن فعل المنكر ذلك لأن التبشير يدفع الإنسان العاقل إلى فعل ما يؤدي إلى هذه البشارات العظيمة والثمرات اليافعة للعمل الصالح ويبتعد كذلك عن كل ما يؤدي به إلى سوء العقاب ولهذا اعتمد القرآن الكريم على أسلوبي التبشير والإنذار وهذا طرب من ذلك:

المطلب الأول
العندية في مجال التبشير

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١)

بَيَّنَ الله تعالى في هذه الآية الكريمة أَسْبَابِ السَّعَادَةِ فِي الدنيا والآخرة الْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾، وَهَذَا مِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَجِدُ لَهَا فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ نَظِيرًا، لَمَّا كَانَ الْجَزَاءُ مَبْنِيًّا عَلَى أَثَرِ الْعَمَلِ فِي نَفْسِ الْعَامِلِ وَارْتِقَائِهَا بِهِ كَانَ الْجَزَاءُ بِمَثَابَةِ الْعَمَلِ نَفْسِهِ، وَوَصَلَ الله تعالى الْوَعْدُ بِالْجَزَاءِ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا يَبْعَثُ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْإِحْسَانِ فِيهِ، وَيَدُلُّ عَلَى تَحَقُّقِهِ. (٢)

أي ماتقدموه من أعمال صالحة قبل وفاتكم ذخرا لأنفسكم في معادكم، تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة، فيجازيكم به، أفادت العندية هنا: أن الله هو

---

(١) سورة البقرة: الآية (١١٠)

(٢)تفسير المنار (١/ ٣٤٨(

الحفيظ والآمين لكل ما استودع من الخير والأعمال الصالحة. [١]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢] .

في هذه الآية لكريمة ترغيب من الله تعالى لعباده في امتثال المأمورات والتحذير من المنهيات، أن الله سبحانه وتعالى، لَا ينقص أحدا من ثواب عمله أي مقدار ولو ذرة والنص عام يشمل المؤمن وغير المؤمن في ظاهره، وإن الله سبحانه وتعالى عفوٌّ غفور رحيم بعباده، لَا يكتفي بمنع الظلم عمن يحسن، بل إنه يضاعف الأجر لمن يحسن، وقد أفادت اللدنية هنا: في قوله ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي أن الله تعالى يعطي عطاءً كثيرا، غير غير مقيد بالمثلية والمضاعفة، بل إنه يكون سماحا، وقد عظم الله سبحانه وتعالى ذلك العطاء غير المحدد بوصفين.

أحدهما: أنه عظيم في ذاته ذو جلال وشأن، فهو رضوان الله تعالى، ونعيم مقيم، وجنات فيها ما لَا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وإذا قال الله أَجْراً عَظِيماً فمن الذي يقدّر قدره! وقد عرفنا أن هذه الآية إحدى الآيات التي هي خير مما طلعت عليه الشمس.

والثاني: أنه عطاء من لدن الله تعالى، فهو قد نال شرفا إضافيا بأنه من الله تعالى. [٣] و لدن بمعنى عند وهي أقوى في الدلالة على القرب[٤]

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ

---

(١)تفسير الطبري (٢/٥٠٥(

(٢) سورة النساء: الآية (٤٠)

(٣)ينظر: زهرة التفاسير (٤/١٦٨٤)، التفسير المنير للزحيلي (٥/ ٧٥(

(٤)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـــ (٥/ ٣٣(

كَثِيرَةٌ﴾[١]

يأمر الله تعالى المؤمنين بأن يذعنوا للحق ويصدقوا به، و إذا سرتم في جهادكم، فتعرفوا من يحاربكم ومن يعاديكم، فإن الأصل في الدماء التحريم، إذ القتل إنما هو لدفع الاعتداء، فلا يقتل إنسان إلا عند تأكد الاعتداء منه، أو نيته عنده، ومن لم يتثبت، فقد خالف أمر الله واعتدى، والنص الكريم جاء للنهي عن قتل من ألقى السلام وقدمه بالاستسلام، سواء أكان مؤمنا، أم غير مؤمن ؛ لأنكم إن فعلتم ما نهيم عنه خرجتم بذلك عن الجهاد في سبيل الله تعالى إلى طلب المال والدنيا، وما لأجل ذلك كان القتال ولذا قال سبحانه بعد ذلك النهي: ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِم كثِيرَةٌ﴾ وهذا وعد من الله تعالى بكثرة المغانم، ولكن وعد الله مشروط بالصدق في القتال، وطلب ما عنده سبحانه[٢]، فجميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء، يقال: إن الدنيا عرض حاضر يأخذ منها البر والفاجر، والعرض بسكون الراء ما سوى الدراهم والدنانير، وإنما سمي متاع الدنيا عرضا لأنه عارض زائل غير باق فنبه تعالى بتسميته عرضا على كونه سريع الفناء قريب الانقضاء، وبقوله: فعند الله مغانم كثيرة على أن ثواب الله موصوف بالدوام والبقاء كما قال: وعنده تعالى مغانم كثيرة من رزقه وفوا ضل نعمه، فهي خير لكم إن أطعتم الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فأثابكم بها على طاعتكم إياه، فالتمسوا ذلك من عنده سبحانه. [٣]

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾[٤]

---

(١) سورة النساء: جزء من الآية (٩٤)

(٢) زهرة التفاسير (٤/ ١٨٠٧)

(٣) تفسير الرازي (١٩١/١١)

(٤) سورة يونس: جزء من الآية (٢)

أي: قدم خير فلهم قدم صدقٍ عند ربهم وهي سبقهم إلى الإيمان والتصديق بما جاء به النبي ﷺ وهنا أمران بيانيان يجب أن نشير إليهما بمقدار ما ندرك.

أولهما – عبر عن السبق إلى الإيمان بقوله تعالى: (قَدَمَ صِدْقٍ) ونقول: إن هذا مجاز عبر فيه باسم الجزء، وأريد الكل وذلك لأن المراد أن لهم السبق بالصدق

الأمر الثاني – قوله تعالى: (صِدْقٍ) نقول أنه وعد، ووعد اللَّه صدق دائما ولكن المؤمنين أيضا قدموا بالصدق وهو الإيمان بالحق، فصدقوا الرسول وصدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه. (١)

قال تعالى: "ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ"(٢)

أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة، والتَّعرُّضُ لعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ مع الإضافة إلى ضمير مَن لتشريفه والإشعار بعلَّةِ الحكم(٣)

أفادت العندية في الآية الكريمة: الدلالة على الثواب المدخر لأنه لا يقال عند ربه فيما قد حصل من الخيرات، فالتعظيم خير له للعلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظها، فهو خير له من التهاون بذلك(٤)

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٥) وعد الله تعالى الصادقين و

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٨٥)، زهرة التفاسير (٧/ ٣٥١٠﴾

(٢) سورة الحج: جزء من الآية (٣٠ (

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـــ (١٧/ ١٤٧)، تفسير أبي السعود (٦/ ١٠٥)

(٤)تفسير الرازي (٢٢٢/٢٣(

(٥)سورة الزمر: الآية(٣٣(

المصدقين بأن لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين، وهذا الوعد يدخل فيه كل ما يرغب المكلف فيه، وجملة لهم ما يشاؤن عند ربهم أي: من النعيم في الجنة كما يقال: لك إكرام عندي أي ينالك مني ذلك، والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأنهم لما قصر عليهم جنس المتقين كان ذلك مشعرا بمزية عظيمة فكان يقتضي أن يسأل السامع عن جزاء هذه المزية فبين له أن لهم ما يشاؤون عند الله، وما يشاؤن هو ما يريدون ويتمنون، أي يعطيهم الله ما يطلبون في الجنة، وأفادت العندية هنا: أن الله ادخر لهم ما يبتغونه، وهذا من صيغ الالتزام، عدل عن اسم الجلالة إلى وصف ربهم في قوله: عند ربهم إيماء إلى أنه يعطيهم عطاء الربوبية والإيثار بالخير، وذلك جزاء المحسنين على أن هذا الأجر مستحق لهم على إحسانهم في العبادة.[١]

المطلب الثاني

العندية في مجال الإنذار

قال تعالى ﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ [٢]

{لينذر بأسا شديدا من لدنه} أي: لمن خالف القرآن وكذبه ولم يؤمن بـــه، ينذره بأسا شديدا، عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة أفادت اللدنيـــة هنا: {من لدنه} أي: من عند الله الذي لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقـــه أحد، والضمير يعود على اللَّه تعالى؛ من عند اللَّه تعالى، وفي الحكـــم بأنـــه صادر عن اللَّه تعالى آت من عنده إرهاب بهذا العذاب؛ لأنه آت مـــن عنـــد الواحد القهار، وبيان لشدته، وتأكد وقوعه، فلا منـــاص منـــه، ولا ســـبيل

---

(١)التحرير والتنوير (٢٤/ ٨)، تفسير القرطبي ـــ (١٥/ ٢٢٥)، تفسير الرازي (٢٦/ ٤٥٢)

(٢) سورة الكهف: جزء من الآية (٢)

للابتعاد عن وقوعه. [١]

وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾[٢]

أي: أن الكافرين كانوا قبل الكفر ممقوتين عند الله فلما كفروا زادهم كفرهم مقتا عنده، في حال أن الكفر هو سبب مقت الله إياهم، ولو لم يكفروا لما مقتهم الله[٣]

فاللَّهُ الَّذِي جَعَلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَثَمُودَ، وَمَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ فَجَعَلَكُمْ تَخْلُفُونَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ فَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، فَعَلَى نَفْسِهِ ضُرُّ كُفْرِهِ، لَا يَضُرُّ بِذَلِكَ غَيْرَ نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ الْمُعَاقَبُ عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا بُعْدًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فأفادت العندية هنا: بأن الْكافِرِينَ لا يَزِيدُ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وهو الغضب الشديد الذي يستوجب العقوبة وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَساراً يعني: غبناً في الآخرة وخسراناً. [٤]

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ١٣٥)، زهرة التفاسير (٩/ ٤٤٨٦)

(٢) سورة فاطر: الآية (٣٩)

(٣) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٢٣(

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٣٨٨)، تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ١١٢)

المبحث السادس
العندية في مجال التوجيه والإرشاد

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول
العندية في مجال العقيدة

قال تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾[١]

إن دواعى الحق بحسن البيان ناطقة، وألسنة البرهان فيما ورد به التكليف صادقة، وخواطر الغيب بكشف ظلم الريب مفصحة، فمن صم عن إدراك ما خوطب به سره، وعمي عن شهود ما كوشف به قلبه، وخرس عن إجابة ما أرشد إليه من حجة، فهمه وعقله فدون رتبة البهائم قدره، وفوق كل من حكم الله ذله وصغره، والمراد بشر الدواب الكفار لأنهم شر ما دب على الأرض من الحيوان ً، ومعنى عند الله هنا: أي في حكمه وقضائه، وأن العبرة بما هو عند الله ليس غير لأن له َ جميع الكمال من إحاطة العلم والقدرة وغيرها، فهم الذين لا يسمعون الحق البكم َ الذين لا ينطقون به، فهذا تعريض بالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون بأنهم يشبهون دواب صماء بكماء. [٢]

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٢٢)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(٢٤٨/٨)، روح البيان (٣٢٩/٣)، التحرير والتنوير (٩/ ٣٠٥)

المطلب الثاني
العندية في مجال لتشريع

قال تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾[١]

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة الفرق بين الربا والزكاة فقال: ما أعطيتم من عطية لتلتمسوا بها الزيادة في الأموال فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ أي: فلا تضاعف تلك العطية عند الله عز وجل، ، وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ قال: هي الصدقة تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ، وقال عكرمة: الربا ربوان: ربا حلال، وربا حرام. فأما الحلال فهو هبة الرجل يريد أن يثاب ما هو أفضل منها. وأما الحرام فزيادة خالية عن العوض في عقد المعاوضة، ثم بيّن ما يربو فيه فقال: وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ يعني: ما أعطيتم من صدقة تريدون وجه الله يعني: رضا الله، ففيه الإضعاف، فأولئك هم المضعفون للواحد عشرة فصاعداً. [٢]

أفادت العندية هنا: التزهيد في ضرب آخر من إعطاء المال الذي لا يرضى الله تعالى به فإن المعاملة بالربا تنافي المواساة لأن شأن المقترض أنه ذو خلة، وشأن المقرض أنه ذو جدة فمعاملته المقترض منه بالربا افتراض لحاجته واستغلال لاضطراره، وذلك لا يليق بالمؤمنين[٣]

وقال تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾[٤]

---

(١) سورة الروم: الآية (٣٩)٣٩

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ١٣)

(٣) التحرير والتنوير (٢١/ ١٠٥)

(٤) سورة الجمعه: الآية (١١)

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد الذي عند الله من الثـواب، لمن جلس مستمعًا خطبة رسول الله ﷺ وموعظته يوم الجمعة إلى أن يفـرغ رسول الله ﷺ منها، خير له من اللهو ومن التجارة التي ينفضون إليها (وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقول: والله خير رازق، فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم، وإياه فأسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره. (١) أفادت العندية هنا: أن مـا عند الله مما ينفعكم فى الآخرة خير لكم مما يفيدكم فى الـدنيا مـن التمتـع بخيراتها، وكسب لذاتها، فتلك باقية، وهذه فانية، وثوابه تعالى خيـر مـن اللهو وَمِنَ التِّجارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ وخير المعطين (٢)

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨٩)

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٤٤٩)، تفسير المراغي (٢٨/ ١٠٤)

المبحث السابع
ما اختص الله تعالى به نفسه

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول
إحاطته بخزائن كل شيء

قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾[١] كل شيء عند الله خزائنه وينزل على الخلق بقدر معلوم، فما من مخلوق يقدر على شيء "وإن من شيء من أرزاق الخلق إلا عند الله خزائنه يعني مفاتيحه التي هي مجتمع الأرزاق ولكن الله يقسمه حيث يشاء ، فيعطي قوماً ويحرم آخرين.

﴿وَمَا ننزله إِلَّا بِقدر مَعْلُوم﴾ أَي: إِلَّا بِقدر مَعْلُوم فِي وَقت مَعْلُوم، وَيُقَال: إِنَّه لَا تنزل قَطْرَة من السَّمَاء إِلَّا وَمَعَهَا ملك يَسُوقهَا حَيْثُ يُرِيد الله، وَالله أعلم"[٢] كل شيء خلقه الله في البر والبحر، وما من شيء من أرزاق الخلق إلا عند الله خزائنه، وفيه وجهان: أحدهما: يعني مفاتيحه لأن في السماء مفاتيح الأرزاق، الثاني: أنها الخزائن التي هي مجتمع الأرزاق. وفيها وجهان: أحدهما: ما كتبه الله تعالى وقدره من أرزاق عباده. الثاني: يعني المطر المنزل من السماء، لأنه نبات كل شيء.

فالعندية هنا: تدل على كون تلك الأشياء التي عند الله خزائنها هي مقدورة له تعالى فالمراد أن جميع الممكنات مقدورة له ومملوكة يخرجها من العدم إلى الوجود كيف شاء.

---

(١)سورة الحجر: الآية (٢١)

(٢)النكت والعيون (٣/ ١٥٥)، تفسير السمعاني (٣/ ١٣٤)

المطلب الثاني
سعة علمه تعالى

قال تعالى: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾

والمعنى أنه يعلم كل شيء علما مفصلا لا شيوع فيه ولا إبهام.﴿وَكُل شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أي كل شيء عنده بمقدار معلوم محدود قدرها اللَّه سبحانه وتعالى، ولا يعلمها إلا هو لأنه العالم بالشاهد والغائب، وبالسر والجهر. [١]

التحرير والتنوير (١٣/ ٩٦)

أثبتت الآية الكريمة علم الله تعالى بدقائق الأشياء وعظائمها، ولذلك ابتدئت باسم الجلالة تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين ومتى كان الأمر كذلك امتنع وقوع التغيير في تلك المعلومات، ويحتمل أن يكون المراد من العندية أنه تعالى خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشيةته الأزلية وإرادته السرمدية،

المطلب الثالث
علم الساعة

﴿يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (١٨٧)

استأثر الله تعالى بعلم الساعة فلم يطلع على وقتها نبيا ولا صفيا فالإيمان بها غيبي، ويقين أهل التوحيد صادق عن شوائب الريب، والآية التي بين أيدينا جاءت العندية فيها مرتين ولهذا سر يظهر لنا من خلال السطور الآتية، ليتبين لنا فائدة ذلك ومغزاه ولم قال مرة بالرب ومرة بلفظ

---

(١)التحرير والتنوير (١٣/ ٩٨)، زهرة التفاسير (٧/ ٣٩٠٦)

الجلالة(الله) وما علة السؤال أكثر من مرة؟

تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٤٢٥)

قال الإمام الرازي: يسئلونك عن الساعة أيان مرساها سؤال عن وقت قيام الساعة وقوله ثانيا: يسئلونك كأنك حفي عنها سؤال عن كنه ثقل الساعة وشدتها ومهابتها، فلم يلزم التكرار: أجاب عن الأول بقوله: إنما علمها عند ربي، وأجاب عن الثاني بقوله: إنما علمها عند الله والفرق بين الصورتين أن السؤال الأول كان واقعا عن وقت قيام الساعة، والسؤال الثاني كان واقعا عن مقدار شدتها ومهابتها، وأعظم أسماء الله مهابة وعظمة هو قوله عند السؤال عن مقدار شدة القيامة الاسم الدال على غاية المهابة، وهو قولنا الله ثم إنه تعالى ختم هذه الآية بقوله: ولكن أكثر الناس لا يعلمون وفيه وجوه: أحدها: ولكن أكثر الناس لا يعلمون السبب الذي لأجله أخفيت معرفة وقته المعين عن الخلق.

فأثبتت العندية أن لا علم لأحد بالساعة إلا الله الذي يعلم غيب السموات والأرض متى حينها وقيامها ولا يكشفها لحينها إلا الله، أو لا يقدر أحد على إظهارها إلا الله ويقال: لا يعلم أحد قيامها إلا هو ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنها كائنة ولا يصدقون بها

المطلب الرابع

الدلالة على علم الغيب

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٥٩)

جمعت الآية معان في غاية العظمة فبدأت بالعندية موضوع بحثنا ليرد على أمور تقدمت ويعطي أمورا أخرى تظهر من خلال الآية، فتأويل الكلام الذي

يتعلق بالآية السابقة والله أعلم بالظالمين من خلقه فإن عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليّه ولم يدركوه، ولن يعلموه ولن يدركوه، وعنده خزائن الأرض والرزق ونزول العذاب، ويقال: عنده الوصلة إلى علم الغيب لا يعلمها إلا هو، وأثبتت الآية والعندية هنا أن الله عنده خزائن غيب السموات والأرض والأرزاق والأقدار والآجال ووقت انقضائها، لأنه وحده عالم بجميع المعلومات، ومن اختص بعلم جميع المعلومات كان مختصا بصنع جميع المصنوعات قادرا على جميع المقدورات، وفيها أيضا أنه تعالى القادر على كل شيء وقدرة الحق- سبحانه ن لها التأثير في الإيجاد، وفيها أيضا شمول علمه،

١- وفي الآية الكريمة صورة واضحة لعلم الله الشامل الذي لا يغيب عنه شيئ في الزمان ولا في المكان في الأرض ولا في السماء، قال رسول الله ﷺ: "مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: ﴿ن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [لقمان: ٣٤] (١)

(فهو سبحانه يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات، بريها وبحريها (٣) لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ويعلم الحركات حتى من الجمادات، فما ظنك بالحيوانات، ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم، كما قال تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾)(٢)

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة ...﴾ (٣)

---

(١) اخرجه البخاري ومسلم

(٢)تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٢٦٥)

(٣) سورة لقمان: الآية (٣٤)

وقد جعل الله قيام الساعة غيبا، فلا يعلمه غيره، فتأهبوا لها، قبل أن تأتيكم بغتة، وهو سبحانه يُنَزِّلُ الْغَيْثَ في وقته، من غير تقديم ولا تأخير، وفي محله، على ما سبق في التقدير، ويعلم كم قطرة ينزلها، وفي أي بقعة يمطرها.

وَيَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ أذكر أم أنثى، أتام أم ناقص، وشقي أو سعيد، وحسن أو قبيح. وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً من خير أو شر، ووفاق وشقاق، فربما كانت عازمة على الخير فعملت شراً، أو على شر فعملت خيراً. وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ أي: أين تموت، فربما أقامت بأرض، وضربت أوتادها، وقالت: لا أبرحُها، فترمي بها مرامي القدر حتى تموت بمكان لم يخطر ببالها. [١]

(١)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٣٨٢)

المبحث الثامن
ماعند الله لأهل الكفر والضلال

إن الله عز وجل هو الحكم العدل، الذي لا يظلم الناس شيئا ومن ثم فهو يثيب أهل الإيمان والصلاح بكريم عطائه، وواسع فضله، كما أنه يجازي كل كفور ضال بما يستحقه من أليم العذاب وسوء الحساب، جزاءا وفاقا، وفي القرآن العظيم آيات عديدة تصرح بما عند الله للكافرين الضالين من عذاب أليم في جهنم وبئس المصير، جزاء سلوكهم الآثم، وعملهم السيئ، وأنه – سبحانه – يبطل كيدهم، ويخيب مسعاهم، ويجعل أعمالهم هباء منثورا، من ذلك:

المطلب الأول
عند الله سبحانه جزاء مكرهم، وعاقبة كيدهم فالجزاء من جنس العمل

قال تعالى: ﴿وقد مكروا مكرهم ....﴾[١] ذكر الله تعالى كيفية مكرهم فقال: وقد مكروا مكرهم ومكتوب عند الله مكرهم والحالُ أنهم قد مكروا في إبطال الحقِّ وتقرير الباطل مكرَهم العظيمَ الذي استفرغوا في عمله المجهودَ وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدِرُ عليه غيرُهم فالمرادُ بيانُ تناهيهم في استحقاق ما فُعل بهم، فالمقصودُ إظهارُ عجزهم واضمحلالُ قدرتِهم وحقارتُها عند قدرة الله تعالى فهو يجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه. وعند الله مكرهم الذي يمكر بهم وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون. [٢]

الأنكال والجحيم والعذاب الأليم: قال تعالى: ﴿إن لدينا أنكالا ....﴾[٣]

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يترك أمر المشركين إليه، فهو الكفيل

---

(١) سورة إبراهيم: الآية(٤٦)

(٢) تفسير الرازي (١٩/ ١١٠)، تفسير أبو السعود (٥/ ٥٨)

(٣) سورة المزمل: الآيتان(١٢-١٣)

بمجازاتهم، ثم ذكر أنه سيعذبهم، ثم ذكر من ألوان العذاب التي أعدها لهم أمورا أربعة:

(١) ﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا﴾ أي إن لدينا لهؤلاء المكذبين بآياتنا قيودا ثقيلة توضع فى أرجلهم كما يفعل بالمجرمين فى الدنيا إذلالا لهم قال الشعبي: أترون أن الله جعل الأنكال فى أرجل أهل النار خشية أن يهربوا؟ لا والله، ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استفلت بهم.

(٢) (وَجَحِيماً) أي نارا مستعرة تشوى الوجوه.

(٣) (وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ) أي طعاما لا يستساغ، فلا هو نازل فى الحلق، ولا هو خارج منه، كالزقوم والضريع كما قال تعالى: يْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ»

وقال: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ﴾.

(٤) (وَعَذاباً أَلِيماً) أي وألوانا أخرى من العذاب المؤلم الموجع الذي لا يعلم كنهه إلا علام الغيوب. [١]

المطلب الثاني

ثبوت جزائهم السيئ عند الله تعالى

قال سبحانه وتعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر ....﴾ [٢]

اطرد الله تعالى في التهكم بالمشركين والعجب من أفن رأيهم مع تذكيرهم بمساويهم فقال: قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله، أي هل أخبركم بما هو شرٌّ في الحقيقة مما تعتقدونه شراً وإن كان في نفسه خيراً محضاً {مَثُوبَةً عِندَ الله} أي جزاءً ثابتاً في حكمه

والمثوبة الجزاء الثابت من عنده سبحانه وهو مصدر ميمي بمعنى الثواب .

---

(١)تفسير المراغي (٢٩/ ١١٥- ١١٦)

(٢) سورة المائدة: الآية (٦٠)

[١]لأهل الكفر والضلال الذل والهوان عند الله سبحانه

قال تعالى: ﴿سيصيب الذين أجرموا ....﴾ [٢]

نعى الله عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعدما نعى عليهم حرمانهم مما أملوه، والسين للتأكيد، ووضع الموصول موضع الضمير لمزيد التشنيع، وقيل: إشعاراً بعلية مضمون الصلة أي يصيبهم ألبتة مكان ما تمنوه وعلقوا به أطماعهم الفارغة من عز النبوة وشرف الرسالة {صَغَارٌ} أي ذل عظيم هوان بعد كبرهم { عَندَ الله } يوم القيامة . وقيل: المراد أن ذلك في ضمانه سبحانه أو ذخيرة لهم عنده وهو جار مجرى التهكم كما لا يخفى { وَعَذَابٌ شَدِيدٌ } في الآخرة أو في الدنيا { بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ } أي بسبب مكرهم المستمر أو بمقابلته، وحيث كان هذا من أعظم مواد إجرامهم صرح بسببه .[٣]

قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ....﴾ [٤]

يخبر الله تعالى عن حال المشركين يوم القيامة، وحالهم حين عاينوا البعث، وقاموا بين يدي الله حقيرين ذليلين، ناكسي رؤوسهم، أي: من الحياء والخجل وَشدَّة الوجل، عِنْد رَبهم لرأيت مَا يعْتَبر بِهِ.

وَقَوله: ﴿رَبنَا أبصرنا وَسَمعنَا﴾ أَي: قائلين رَبنَا أبصرنا وَسَمعنَا أَي: أبصرنا صدق وعيدك، وَسَمعنَا مِنْك تَصْدِيق رسلك. قَالَ قَتَادَة: أبصروا حِين لم يَنْفَعهُمْ الْبَصَر. وسمعوا حِين لم يَنْفَعهُمْ السّمع. وَيُقَال: أبصرنا معاصينا، وَسَمعنَا مَا قيل فِينَا.{فارجعنا نعمل صَالحا} أَي: ردنا نعمل صَالحا.

---

(١) تفسير أبو السعود (٣/ ٥٥)، التحرير والتنوير (٦/ ٢٤٥)

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٢٤)

(٣)تفسير الألوسي (٢٢٦/٤)

(٤) سورة السجدة: الآية (١٢)

{إِنَّا موقنون} أَي: مصدقون بِالْبَعْثِ. [١]

المطلب الثالث

جزاء شؤمهم محفوظ عليهم ليحاسبوا به يوم القيامة

قال تعالى: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة ...﴾ [٢] جاءت هذه الآية حكاية عما يحدث من قوم فرعون فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ من الخصب والسعة والرخاء، قالُوا لَنا هذِهِ، ونحن مستحقون له. وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ: جدب وبلاء يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ أي: يتشاءموا بهم، ويقولون: ما أصابتنا إلا بشؤمهم، وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فإن الشدائد تُرقق القلوب، وتُذلل العرائك أي: الطبائع، وتُزيل التماسك، سيما بعد مشاهدة الآيات، وهي لم تؤثر فيهم، بل زادوا عندها عتوًا وانهماكًا في الغي.

قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: سبب طائرهم وشرهم عنده، وهو حكمه ومشيئه، أو سبب شؤمهم عند الله، وهو أعمالهم المكتوبة عنده، فإنها التي ساقت إليهم ما يسوؤهم. قال ابن جزي: أي: حظهم ونصيبهم الذي قدر لهم من الخير والشر عند الله، وهو مأخوذ من زجر الطير، ثم سمى به مَا يُصيب الإنسان، ومقصود الآية: الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم. هـ. ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من الله تعالى بلا واسطة، أو من شؤم أعمالهم. [٣]

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٢٤٦)، تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٣٦٢)

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٣١)

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٢٥٠)

المطلب الرابع

ماعند الله سبحانه من عذاب الدنيا ما ليس ببعيد من الظالمين

قال سبحانه وتعالى حكاية عن قوم لـوط وسـوء نهـايتهم: ﴿فلمـا جـاء أمرنا ...﴾[١]

أي فلما جاء أمرنا بالعذاب وقضاؤنا فيهم بالهلاك قلبنا قراها كلها وخسـفنا بها الأرض، وأمطرنا عليهم قبل القلب أو فى أثنائه حجارة من سـجيل: أي من طين متحجر كما جاء فى سورة الذاريات: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجـارَةً مِـنْ طِينٍ﴾، ومعنى منضود أي ارسل بعضه أثر بعض. مسومة أي معلومة، عند ربك: أي في خزائنه التي لا يملكها غيره سبحانه ولا يتصرف فيهـا سـواه تعالى .[٢]

قذف المحصنات الغافلات المؤمنات جرم عند الله عظيم.

قال سبحانه وتعالى في معرض حديثه عن حادثة الإفك: ﴿إذ تلقونه ...﴾[٣]

أي تتلقون هذا الإفك من الألسنة، وترددونه مـن غيـر علـم ولا تثبـت، وتقولونه مرددين ما سمعتم بأفواهكم، ولم تؤمن به قلوبكم، ولـم تعـاينوه وتروه، بل انتقلت الكلمات من الألسنة ورددتها الأفواه من غير علم أو تثبت، ، وأن التفكه بهذا القول هو أمر هين، (وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ) وذكر اسـم الله تعالى توهينا لزعمهم، وبيان عظم الإثم، وفيه توبيخ شديد لهم، فلـيس مـا ارتكبوه هينة صغيرة بل هو جريمة كبيرة[٤]

---

(١) سورة هود: الآيتان (٨٢ -٨٣)

(٢) تفسير المراغي (١٢/ ٦٧)

(٣) سورة النور: الآية (١٥)

(٤)زهرة التفاسير (١٠/ ٥١٦٠)

المطلب الخامس
للكافرين عند الله أشد الاحتقار والبغض والخسران

قال تعالى: "فمن كفر فعليه ...." [١]

أي فمن غمط مثل هذه النعمة العظيمة فإنما يعود وبال ذلك إلى نفسه دون غيره، لأنه هو المعاقب لا سواه، ثم فصل ذلك وبيّنه بقوله: (وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً) أي وكلما استمروا في كفرهم أبغضهم ربهم وغضب عليهم، وكلما اطمأنوا إلى كفرهم خسروا أنفسهم يوم القيامة وحق عليهم سوء العذاب. [٢]

بينت الآية الكريمة أن من جزاء الكفر:

٦- وبال الكفر وجزاؤه السيئ على الكافر لا على غيره.

٧- المقت والغضب الإلهي والاحتقار الشديد.

٨- الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

ما قدر للكافر الهلاك والحساب سيلقاه لا محالة:

قال تعالى: "والذين كفروا أعمالهم ...." [٣]

فقصارى أمر الكافر هو الخيبة والقنوط، كما هو شأن الظمآن، وعنئذ يعتريه سوء الحال، وضياع الرجاء، والذل والهوان ثم هم: يحدون ما قدر الله لهم من سوء المصير وأليم العذاب فلا يفوتهم، ولا يهربون منه .

---

(١) سورة فاطر: الآية (٣٩)

(٢)تفسير المراغي (٢٢/ ١٣٥)

(٣) سورة النور: الآية (٣٩)

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الدعي إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد،

فبعد هذه السياحة العلمية الروحية مع هذا الموضوع القرآني القيم اتضحت لي بعض النتائج أهمها:

١- للحياة مع القرآن الكريم، قراءة، وتدبراً، حلاوة روحية، ومذاق طيب ولا يعرف ذلك إلا من ذاقه .

٢- أثبت البحث اهتمام الآيات القرآنية بهذا الموضوع اهتماماً ملحوظاً، لما له من أهمية كبيرة في دعوة الناس إلى طريق الهداية و الاستقامة، وتحذيرهم من طريق الضلال والغواية.

٣- نعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى، وعلى العاقل أن يشكر واهب النعم -سبحانه -حتى تدم له النعمة وتزيد مصداقاً لقوله سبحانه: "لئن شكرتم لأزيدنكم " .

٤- من أعظم نعم الله على عباده بعثة نبينا محمد ﷺ بأعظم الكتب هاديا ومبشرا ونذيرا قال سبحانه "وإنه لذكر لك ولقومك..."

٥- ومن نعم الله على عباده، نصرهم على أعدائه وأعدائهم، وهذه الأرزاق الوفيرة، التي تيسر حياتهم وتعينهم على تحقيق مقاصد خلافتهم في الأرض، التي لا يملكها غيره .

٦- ومن ثم لا يجوز لعاقل أن يطلب الرزق إلا من الرازق ذي القوة المتين وحده سبحانه، فلا يذل المؤمن نفسه لمخلوق، ولا يعتمد إلا على الله واهب كل شيئ.

٧- أعد الله للصالحين من عباده عنده، مالا يعلمه إلا هو من الأجر

العظيم، والنعيم المقيم، وجنات عرضها السموات والأرض.

٨- ما يفعل الإنسان من خير لوجه الله لا يضيع، ولا يهمل، بل جزاؤه عند الله محفوظ، فما عند الانسان ينفذ وما عند الله باق.

٩- ما عند الله للأبرار الأخيار يختلف تماما عما أعده لأهل الفجور والطغيان، فالأول كريم وحسن، وخير وأبقى، ودائم.أما الثاني: فمهين، ومؤلم، وذلك كله بفعل الانسان وما قدمه في دار الدنيا، ولا يظلم ربك أحدا.

١٠- للصالحين من عباد الله تعالى، وأولي الأبصار منهم دعوات طيبة أن يرزقهم الله من عنده من خير، وتوفيق، وهداية، وعلم ....فهو سبحانه الذي يجيب دعوة الداعين فهو أقرب لعبادة من حبل الوريد .

وبناء على النتائج السابقة أوصي بما يلي:

١- ضرورة الإقبال من- الباحثين والباحثات في الدراسات القرآنية – على الدراسات الموضوعية الدقيقة والواعية لمثل هذا الموضوع، الذي يكثر حوله الكلام، والذي قد يجافي الحقيقة.

وبعد.. فهذه مساهمة متواضعة في خدمة كتاب الله تعالى، على قدر جهدي، في موضوع يمس حياة الناس جميعاً، وأسأل الله أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل والثبات على الإيمان، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وصلى الله على أشرف خلقه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم:

(١) الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.

(٥) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

(٦) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة١٩٩٦ م

(٧) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

(٨) التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ، ١٤٠٥تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٩) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

(١٠) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

(١١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ

(١٢) التفسير الواضح، لدكتور / محمد محمود حجازى، دار النشـــر: دار الجيل الجديد.

(١٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علـــوم القـــرآن، للشـــيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشـــافعي، للدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهـــدي، الناشـــر: دار طـــوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـــ - ٢٠٠١ م

(١٤) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـــ)تحقيق: أحمـــد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـــ - ٢٠٠٠ م

(١٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحســـيني الألوســـي (المتـــوفى: ١٢٧٠هـــــ)، تحقيق: علي عبد الباري عطيـــة، الناشـــر: دار الكتـــب العلميـــة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـــ

(١٦) زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـــ)، تحقيق: عبد الـــرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعـــة: الأولـــى - ١٤٢٢ هـــ(٤/ ١٦٤)

(١٧) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلـــوم، لنشـــوان بـــن ســـعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـــ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله

العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

(١٨) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد على التهانوى، تاريخ وفاة المؤلف: ١١٥٨ ق الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، مكان الطبع: بيروت، سنة الطبع: ١٩٩٦م.

(١٩) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى

(٢٠) اللمحة في شرح الملحة، لمحمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (المتوفى: ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

(٢١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت

(٢٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

(٢٣) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة

العربية

(٢٤) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروتالطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

(٢٥) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.

Almasadir &Almarajie

- Alquran Alkarim:

(1) al'iitqan fi eulum alquran , lieabd alrahman bin 'abi bakr , jalal aldiyn alsuyutii (almutawafaa: 911 ha) , tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim , alnaashiru: alhayyat almisriat aleamat lilkitab altabeati: 1394 hi / 1974 m

(2) 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitaab alkarim , li'abi alsueud aleimadii muhamad bin muhamad bin mustafaa (almutawafaa: 982 ha) , alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut

(3) 'anwar altanzil wa'asrar altaawil , linasir aldiyn 'abu saeid eabd allah bin eumar bin muhamad alshiyrazii albaydawi (almutawafaa: 685 ha) , tahqiqu: muhamad eabd alrahman almaraeashali , alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut

(4) albahr almadid fi tafsir alquran almajid , li'abi aleabaas 'ahmad bin muhamad bin almahdii (almutawafaa: 1224 ha) , tahqiqu: 'ahmad eabd allah alqurashi raslan alnaashir: alduktur hasan eabaas zaki - alqahirat , altabeatu: 1419 hu.

(5) alburhan fi eulum alquran , libadr aldiyn muhamad bin eabd allah bin bihadir alzarkashii (almutawafaa: 794 ha) , tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim , altabeat al'uwlaa , 1376 hi - 1957 m , alnaashir: dar 'iihya' alkutub alearabiat eisaa albabaa alhalabi washurakayih

(6) basayir dhawaa altamyiz faa litayif alkitaab aleaziz , limajd aldiyn 'abu tahir muhamad bin yaequb alfayruzabadaa (almutawafaa: 817 ha) , tahqiqu: muhamad eali alnajaar , alnaashiru: almajlis al'aelaa lilshuyuwn - lajnat 'iihya' alturath al'iislamii , alqahirat 1996 m

(7) altahrir waltanwir <<tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitaab almajid>> ,

limuhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur altuwnusii (almutawafaa: 1393 ha) alnaashir: altuwnisiat lilnashr - tunis , sanat alnashr: 1984 hu
(8) altaerifat , lieali bin muhamad bin eali aljirjanii , alnaashir: dar alkitaab alearabii - bayrut , altabeat al'uwlaa , , 1405 tahqiqu: 'iibrahim al'abyari.
(9) tafsir alquran aleazim , li'abi alfida' 'iismaeil bin eumar bn kathir alqurashii albasrii thuma aldimashqii (almutawafaa: 774 ha) , tahqiqu: sami bin muhamad salamat , alnaashir: dar tiibat lilnashr waltawzie altabeati: althaaniat 1420 hi - 1999 m
(10) tafsir almaraghi , li'ahmad bn mustafaa almaraghi (almutawafaa: 1371 ha) , alnaashir: sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabaa alhalabii wa'awal bimisr , altabeat al'uwlaa , 1365 hi - 1946 m
(11) altafsir almunir fi aleaqidat walsharieat walmanhaj , lilduktur wahbat bin mustafaa alzuhaylii , alnaashir: dar alfikr almueasir - dimashq , altabeat althaaniat , 1418 hu
(12) altafsir alwadih , liduktur / muhamad mahmud hajazaa , dar alnashri: dar aljil aljadidi.
(13) tafsir hadayiq alruwh walrayhan fi rawabi eulum alquran , lilshaykh alealaamat muhamad al'amin bin eabd allah al'armi aleulawi alharri alshaafieii , lilduktur hashim muhamad eali bin husayn mahdi , alnaashir: dar tawq alnajaat , bayrut - lubnan , altabeatu: al'uwlaa , 1421 hi - 2001 m
(14) jamie albayan fi tawil alquran , limuhamad bin jarir bin yazid bin kathir bin ghalib alamli , 'abu jaefar altabarii (almutawafaa: 310 ha) tahqiqu: 'ahmad muhamad shakir , alnaashir: alrisalat , altabeat al'uwlaa , 1420 hi - 2000 m
(15) ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani , lishihab aldiyn mahmud bin eabd allah alhusaynii al'alusi (almutawafaa: 1270 ha) , tahqiqu: eali

eabd albari eatiat , alnaashir: dar alkutub aleilmiat - bayrut , altabeat al'uwlaa , 1415 hu
(16) zad almasir fi eilm altafsir , lijamal aldiyn 'abu alfaraj eabd alrahman bin ealii bin muhamad aljawzi (almutawafaa: 597 ha) , tahqiqu: eabd alrazaaq almahdi , alnaashir: dar alkitaab alearabii - bayrut , altabeat al'uwlaa - 1422 ha (4/164))
(17) shams aleulum wadawa' kalam alearab min alkulum , linshwan bin saeid alhumayaraa alyamanii (almutawafaa: 573 ha) , tahqiqu: d husayn bin eabd allah aleumari - mutahar bin eali al'iiryanii - d yusif muhamad eabd allah , alnaashir: dar alfikr almueasir (bayrut - lubnan) , dar alfikr (dimashq - suriat) , altabeat al'uwlaa , 1420 hi - 1999 m
(18) kashaaf astilahat alfunun waleulum , muhamad ealaa altahanwaa , tarikh wafat almualafi: 1158 q alnaashir: maktabat lubnan nashirun , makan altabei: bayrut , sanat altabei: 1996 mu.
(19) lisan alearab , limuhamad bin makram bin manzur al'afriqiu , alnaashir: dar sadir - bayrut , altabeat al'uwlaa
(20) allamhat fi sharh almulihat , limuhamad bin hasan bin sibae bin 'abi bakr aljudhamii , 'abu eabd allh , shams aldiyn , almaeruf biabn alsaayigh (almutawafaa: 720 ha) , tahqiqu: 'iibrahim bin salim alsaaeidi , alnaashir: eimadat albahth aleilmii bialjamieat , almadinat almunawarat , almamlakat alearabiat alsaeudiat , altabeat al'uwlaa , 1424 hi / 2004 m
(21) almisbah almunir fi gharayb alsharh alkabir , lil'ahmad bin muhamad bin eali almaqrii alfayuwmi , alnaashir: almaktabat aleilmiat - bayrut
(22) muejam allughat alearabiat , lilduktur 'ahmad mukhtar eabd alhamid eumar (almutawafaa: 1424 ha)

hidha' eamal , alnaashir: ealam alkutub , altabeat al'uwlaa , 1429 hi - 2008 m

(23) almuejam alwasit , li'iibrahim mustafaa ـ 'ahmad alzayaat hamid eabd alqadir muhamad alnajaar , dar alnashru: dar alnashr , tahqiqu: majmae allughat alearabia

(24) almufradat fi gharayb alquran , li'abi alqasim alhusayn bin muhamad almaeruf bialraaghib al'asfihanaa (almutawafaa: 502 ha) , tahqiqu: safwan eadnan aldaawudi , alnaashir: dar alqalam , aldaar alshaamiat - dimashq bayrutalitabeatu: al'uwlaa - 1412 hu

(25) mawsueat kashaaf aistilahat alfunun waleulum , limuhamad bin eali aibn alqadi muhamad hamid bin mhmmd sabir alfaruqii alhanafii altahanwii (h almutawafaa: baed 1158) , taqdim wa'iishraf murajaeat wama: da. rafiq aleajam , tahqiqu: da. eali dahruj , naql alnasi alfarisii 'iilaa alearabiat: da. eabd allah alkhalidi , altarjamat al'ajnabiata: du. jurj zinani , alnaashir: maktabat lubnan nashirun - bayrut , altabeat al'uwlaa - 1996 mi.